

وزارة المعارف والثقافة والرياضة

مدرسة يمة الثانوية الزراعية

800003

قسم الأبحاث

تقديم بحث إنهاء في اللغة العربية - مستوى خمس وحدات

اسم الموضوع:

نماذج المرأة الفلسطينية في رواية "مديح لنساء العائلة" لمحمود شقير

ارشاد: اياد غانم

مقدم من الطالب: محمد إسماعيل أبو مخ

اللقب الجامعي: ماجستير لغة عربية

الصف الثاني عشر الكترونیکا

العمل: مدرسة يمة الثانوية

السنة الدراسية 2020 - 2021

الاهداء:

الى من وعدني بأن أكون عنده تمثال

الى من اخذوني الى حدود المستحيل

الى كياني الابددي

امي ولبي

الفهرست

الصفحة	المحتوى
1	المقدمة
	الفصل الأول:
3-2	1.1- سيرة حياة الكاتب محمود درويش
7-4	1.2- الرواية العربية الفلسطينية
	الفصل الثاني:
17-8	2.1 - ملخص احداث الرواية
24-18	2.2 - شخصيات الرواية وادوارها
	الفصل الثالث:
33-25	3.1- القضايا الرئيسية في الرواية
41-34	3.2 - نماذج وصورة المرأة الفلسطينية في الرواية
	الفصل الرابع:
46-42	4.1 - تقنية السرد الفني
51-47	4.2 - الزمكانية
53-52	4.3 - المبنى و الأساليب اللغوية
55-54	الخلاصة

المقدمة:

بودي في هذا البحث الذي يتمحور حول موضوع صور المرأة الفلسطينية في رواية "مديح لנסاء العائلة" للكاتب الفلسطيني محمود شقير ان اتبع واتقصى إنعكاس صورة المرأة الفلسطينية التي من شأنها ان تثري المعرفة حول المرأة الفلسطينية على مدار امتداد النضال والمقاومة الفلسطينية منذ عام 1948 ووقوع النكبة. كما عكسها وصورها الكاتب والتي تعطي صورة موسعة عن دور المرأة ومكانتها في المجتمع الفلسطيني في مراحل مختلفة. وبهذا ومن اجل كتابة البحث على اتم وجه فإنني عرضته في عدة فصول جميعها تعكس موضوع البحث والقضية المركزية.

ففي الفصل الأول شرعت الكتابة عن مفهوم وتطور ومميزات الرواية الفلسطينية ثم لمحة عامة عن الكاتب محمود شقير.

وفي الفصل الثاني وهو الفصل التطبيقي فعرضت فيه ملخص أحداث الرواية ثم شخصياتها الرئيسية.

وفي الفصل الثالث تحدثت بشكل مفصل ومسهب عن أبرز القضايا والمضامين التي شتمتها الرواية كذلك الامر تحدثت عن صور ونماذج المرأة الفلسطينية كما ظهرت في الرواية.

اما خاتمة الفصول فتناولت تقنيات السرد والأساليب اللغوية والمبنى السرد في الرواية.

ثم في النهاية البحث ابرزت الخلاصة واهم الاستنتاجات التي لخصت قولها بعد الخوض في البحث.

ارجو من الله ان يوفقني ويسدد سهامي في كتابة البحث واخرجه على اتم صورة ووجه.

كذلك لا بد من تقديم كلمة شكر وتقدير لمرشدي الأستاذ اياذ غانم على المتابعة وعلى التعليمات والملاحظات

واخلاصه في مرافقتي برحلة الارشاد في كل مراحلها.

الفصل الأول:

1.1 سيرة حياة الكاتب محمود شقير:

هو كاتب فلسطيني من مواليد جبل المكبر في القدس عام 1941. حاصل على فلسفة واجتماع من جامعة دمشق عام 1965.

شغل منصب نائب رئيس رابطة الكتاب الأردنيين وعضو الهيئة الإدارية للرابطة ما بين عامي 1977 و 1987. وكان عضو في المجلس الوطني الفلسطيني.¹

تحرر محمود شقير تحرير عدة صحف ومجلات عربية كصحيفة الطليعة المقدسية، مجلة دفاتر ثقافية، مجلة صوت الوطن وصحيفة الجهاد المقدسية.

كما وعمل في صحيفة الرأي الأردنية محررا لشؤون الأراضي المحتلة بين عامي 1978 و 1980 وكاتبا لمقالة أسبوعية بين عامي 1991-1993.

لقد ابتدأ الكتابة عام 1962 ونشر العديد من قصصه القصيرة في مجلة الأفق الجديد المقدسية عمل محررا ثقافيا في أكثر من منبر ادبي فلسطيني واردني، ونشر قصصه في عديد من المجلات الأدبية العربية.

¹.السلحوت جميل. " محمود شقير ادب مدينة السلام " موسوعة أبحاث ودراسات في الادب الفلسطيني الحديث. باقة الغربية، 2013،

صدر له أكثر من خمسة وأربعين كتابا في القصة القصيرة والقصة القصيرة جدا، وادب السيرة وادب الأطفال، كما قدم للمسرح أربعة أعمال، وكتب حوارا لستة من المسلسلات التلفزيونية العربية، ترجمت قصصه الى أكثر من عشر لغات منها الإنجليزية الفرنسية الألمانية الصينية الكورية المنغولية والتشيكية. وصدرت مختارات من أعماله في عدة لغات حول العالم كما كان ادبه موضوعا لعدة رسائل اكااديمية في فلسطين والعالم العربي وأوروبا. كرم من قبل اهم المؤسسات الثقافية الفلسطينية في القدس وصدرت أعماله في أكثر من طبعة بالعالم العربي.

من جوائزها كانت جائزة البوكر العربية في دورة 2016 لروايته مديح النساء والعائلة، وعلى جائزة محمود درويش للحرية والابداع لعام 2011.

الحاجز وهي مجموعة قصصية للأطفال، الجندي واللعبة، اغنية الحمار، قالت مريم، قال الفتى، انا وجمانة، طيور على النافذة، الولد الفلسطيني، طقوس المرأة الشقية، صمت النوافذ، ظل اخر للمدينة، مرور خاطف، صورة شاكيرا، ابنة خالتي كوندوليزا، باحة صغيرة لاحزان المساء، مدن فاتنة وهواء طائش، احتمالات طفيفة، مرايا الغياب، كلب ابيض ذو بقعة بيضاء، القدس وحدها هناك، قالت لنا القدس، واحلام الفتى النحيل².

².حميدة طارق. "قراءة في روايتي فرس العائلة، مديح لساء العائلة، مجلة شؤون فلسطينية عدد 265، 2017 ص 4.

الفصل الأول:

1.2 الرواية العربية الفلسطينية:

نعني بالرواية الفلسطينية هي تلك الرواية التي كتبها أبناء فلسطين الذين يعيشون داخل الأرض المحتلة او خارجها. وقد تناولت الرواية الفلسطينية موضوع واحد فمعظم الروايات دارت حول موضوع واحد وهي قضية فلسطين التي شغلتهم فهي قضية محورية أساسية ووحيدة وهي البداية والنهاية.

ان معظم الروايات تتحدث على ضرورة العودة، عودة الأرض الى أصحابها وعودة الاصحاب الى الأرض حيث أهلهم وتراجم ودورهم وذكرياتهم وجزور حضارتهم وتوالي النكسات عليهم منذ 1948. وكان الاتجاه الواقعي هو المتبع في هذه الروايات.

كما ان الرواية العربية الفلسطينية لم تعرف الرواية التاريخية بمفهومها وشكلها اللذين عرفا في روايات جورجى زيدان. ليس لانهم مفضلين عند تاريخهم وماضيهم وحضارتهم ولكن لان رؤيتهم للواقع وارتباطهم به فكريا ووجدانيا وفكريا طغى على كل شئ.

كما انهم يعتبرون التاريخ الحي والواقع الموثق الا اني ليس في حاجة الى كشف، فضلا عن انهم جزء من الامة العربية الكبرى التي ارخ لحضارتها ولتاريخها كتاب روائيون كثيرون فتاريخهم هو حاضرهم وواقعهم وماضيهم ليس الا حاضرهم³.

³. أبو مطرة احمد، الرواية في الادب الفلسطيني، بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1980. صفحة 47.

كما ان هنالك لون من الوان العذاب والقهر اللذين يعيشها أبناء الأرض المحتلة كتابا وغير كتاب، فتوفيق فياض وعدد من كتاب الرواية الاخرين أمثال اميل حبيبي، توفيق معمر، سليم خوري، فهد أبو خضرة، عطا الله منصور، وسحر خليفة وغيرهم ممن يناضلون يوميا كل اشكال الاحتلال والاستعمار والتكبير النفسي وممن يعانون تجارب التعبير عن الواقع الذي يعيشه شعبهم ويبدو ان الكتاب استعاضوا عن التاريخ بأسلوب فني جديد توالى به الرواية العربية الحديثة بعد الرواية الأوروبية.

وهو التداعي والاسترجاع والمونولوج الداخلي فكثير من الكتاب العرب الفلسطينيين يجعلون شخوصهم يتذكرون ماضي حياتهم او يتداعى الى اذهانهم بعض من تاريخهم او يسترجعون ايامهم في وطنهم.

كما يقف غسان كنفاني في مقدمة كتاب الرواية العربية الفلسطينية وقد أعطاها كل ذرة في كيانه وكل نشاطه السياسي والحركي والفكري والفني ثم استشهد بسببها وفي سبيلها وروايته التي أصدرها لا تتعد عن معالجة هذه القضية في أي سطر من سطورها ابتداء من رجال في الشمس، ما تبقى منكم، ام سعد، عائد الى حيفا. وقد خاض غسان كنفاني في رواياته بكل ما هو واقعي وصادق وحدد موقعه وادى دوره الذي لم يتخل عنه رغم انه في بعض رواياته لم يوفق من حيث الاحتفال بالشكل.

كما وفق في الوصول الى قرائه وفي إقناعه وضمان الحياة له بالفن الناجح المكتمل بالمضمون الثوري الواعي. ومن داخل الأرض المحتلة يكتب توفيق فياض روايته (المشوهون) (المجموعة 778) وبعد استقراره في بيروت كتب (حبيبي ميليشيا). كانت رواية المشوهون تنتقد المجتمع العربي من داخله وتعرض لسببائه التي طغت على وجهه بشكل صريح واع وحاد وهي تدور حول حياة الشباب العرب في الأرض المحتلة، اما في مجموعة 778 فإنه يتحدث بشكل تفصيلي عن ست عمليات فدائية ضخمة قامت بها تلك المجموعة ونفذتها بالأرض المحتلة بعد عام 1967. وهم من صيادي البحر في عكا أرقهم الاحتلال وملاً نفوسهم إحساسا بالهزيمة والمهانة القومية بالرغم مما كانوا يعانون من عادة الإدمان والعريضة⁴.

4. ماضي شكري. الرواية العربية في فلسطين والأردن في القرن العشرين، عمان، دار الشروق. 2003 ص 32-33.

وتصادف في هذه الروايات ما نصادفه في الروايات العربية الفلسطينية جميعها تمجيدا لكفاح الشعب الفلسطيني في سبيل الصورة الى وطنه بعد تقويد الكيان الجاثم على ترابه وتصويرا للفرحة بسماع صوته وبقدرته على النهوض بعد ان قارب ان يقتله اليأس والضجر. وينتقد الكاتب سكان الضفة الغربية الذين قاموا الاحتلال مقاومة فاترة بالقياس الى ما ابدى العرب في مقاومته في عام 1948. كما يرفض الهجرة والمهاجرين ويدين انشقاق المنظمات ومزايدها على حين يحكم العدو سكينه في الرقاب داخل الأرض المحتلة، ولم تسلم الأنظمة العربية على اختلاف مواقفها من القضية.

كذلك موقف اميل حبيبي يتشابه تماما مع موقف توفيق فياض. فقد كتب من داخل الأرض المحتلة وناضل في الأرض المحتلة واشتغل عاملا في ميناء (حيفا) ثم انتقل الى معامل التكرير فيها. ثم عمل في القدس مديعا بدار الإذاعة الفلسطينية وهو منتسب الى الحزب الشيوعي الفلسطيني بل اختاره الحزب لتمثيله في الكنيست لمدة تسعة عشرة عاما حتى عام 1972. قدم استقالته رغبة منه للتفرغ للأدب وقد اصدر روايتين اثنتين هما سداسية الأيام الستة والوقائع الغربية في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل.

فالسداسية مجموعة من القصص القصيرة فيها وحدة الموضوع ووحدة القضية ووحدة الانطباع والتأثير تتحدث عن التقسيم والتشتت الذي يعيشه الشعب العربي الفلسطيني.

وفي الوقائع المغربية يمزج بين السرد القصصي وبين بعض الاحداث التاريخية ويأخذ من الماضي البعيد ومن الماضي القريب ومن الاحداث المعاصرة، ما يميز فكرته في تتبع صور نضال الشعب العربي الفلسطيني منذ الغزو الصليبي وحصار عكا وغزو المغول والانتداب البريطاني مروراً بنكبة 1948 وقيام إسرائيل ثم العدوان الثلاثي 1956 واحداث يونيو 1967 حتى المواجهة مع الأردن في سبتمبر 1970.

ويدور بنفس الحلقة ملتزما بذات الاتجاه الكاتب يحيي يخلف في روايته (نجران تحت الصفر) وهو الآخر ولد في فلسطين المحتلة. عرف القهر والاضطهاد والتشرد وفيها ينقل وجهها من وجوه النضال القومي من بلد عربي الى اخر. مؤمنا بوحدة النضال مؤكدا الترابط بين الاشتراكية وبين الوحدة العربية مصورا الالام والماسي التي تعانيتها جماهير الامة العربية في حياتها اليومية ويركز في روايته على قوتين اثنتين: واحدة تحاول الحفاظ على الأوضاع الكائنة لان في ذلك خدمة لمصالحها وثروتها ووجودها، والثانية في النضال من اجل تغيير ما هو كائن واستبداله بما ينبغي ان يكون⁵.

اما رشاد شاور فإنه في رواية (البكاء على صدر الحبيب) الصادرة عام 1974 ينتقد المقاومة الفلسطينية بعد حرب أكتوبر 1973 فهو من موقع فلسطيني مؤيد يرى ممارسات القيادة الخاصة بالمقاومة الفلسطينية ومحاول تقديم الفدائي من خلال تعمق نفسيته ومشاعره ومعاناته وضعفه وتردده وحيرته ويبدو ان الكاتب واحد من افراد المقاومة مما أتاح له الفرصة ليكون دقيقا في عملية رصد ما يحدث في ثنايا تنظيمات المقاومة الفلسطينية المسلحة وهو يختار شخصيات تلتقي عند نقطة واحدة وهي أنهم جميعا يعانون من قيادة المقاومة، وهو لا يضمهم تنظيم ما. وهو يستعين ببعض الحقائق بان الاحداث التي جرت بالساحة العربية كانت المقاومة فيها طرف ويضمن الكاتب اسطورة عين جالوت روايته وهي اسطورة محلية معروفة في فلسطين.

ويكتب امين شنار روايته (الكابوس) عام 1968 وممدوح عدوان روايته (الألبتر) وكلاهما يعالج القضية ويتناول الموضوع نفسه وان ظهر الأخير يستخدم أدوات فنية حديثة حاول قدر المستطاع اجادة توظيفها. مثل التذكر والتداعي والمونولوج الداخلي اما سلوى البنا فهي صحفية ومناضلة فلسطينية لم توفق في روايتها الوحيدة التي تتابع مواقع الحرب اللبنانية الأخيرة فتنتقل فيما يشبه الريبورتاج الصحفي كذلك فهي تنسى أسماء شخصيات روايتها تكتب اسم سعاد وتقصد رجاء، تتحدث عن زهدي وهي تقصد نبيل في لغة ضعيفة وبناء روائي مهتر ومفكك⁶.

⁵. الرواية العربية في فلسطين والأردن في القرن العشرين ص 65-68.

⁶. فاعور ياسين القصة القصيرة الفلسطينية، ميلادها وتطورها (1984-1990) دمشق 2001 ص 72.

الفصل الثاني:

2.1 ملخص احداث رواية "مديح النساء والعائلة":

تبدأ الرواية على لسان محمد الأصغر في سرد سيرة قبيلة العبد اللات وهي قبيلته وعشيرته منطلقا من اول حدث فيها واصفا زوجته سناء وتذمرها اثناء الغاء للرحلة في زيارة بيروت والتي زارها مرة واحدة قبل الزواج وأخرى بعد الزواج فبقيت عالقة بذهنها راغبين في زيارتها عددا من المرات بنية الاحتفال بعيد زواجهما العشرين هناك وكان سبب الغاء السفر ان امه رأت فرس العائلة في المنام، عادت الفرس التي لم تظهر في احلامها منذ زمن الى الظهور. فانها اكثرت من الصهيل كاتها تحذرهم من مغبة هذا السفر.

كانا بحاجة لهذه الرحلة من اجل التحرر من العائلة وهمومها لوقت ما، كانت سناء متزوجة من معتر يوسف في الأربعين من عمره من مدينة القدس وقد قضيا مع بعضهما ثلاث سنوات ولم يتفقا فقررا الانفصال. وكان محمود الأصغر يعمل في المحكمة مؤرخا وكاتبا للجلسات، فكان يدون كل كلمة تقولها سناء ويرمقها بإعجاب فدخلت قلبه رغم انها تكبره بثلاثة أعوام، ولم يكن على قبيلة العبد اللات بالذات الام واضح قبول الامر.

ولما دخلت سناء بيتهم وكانت تتصرف بلباقة واتزان وتتكلم دون استعلاء احبتها العائلة.

اما فليحان بن منان العبد اللات كان يرى بأن محمد الأصغر ينافس على وراثة المخترة وترأس القبيلة لان اباه اوصاه بذلك، لان فليحان كان مغرم بالنساء، فرسمية زوجته خطفها خليفة من ابن عمها خطيبها فأساء بذلك الى أهلها

الذين اجبروا على ترك بيوتهم في قرية الوسمية وجاءوا الى مكان قريب من القدس لم يخطر بباله انه سيرى رسمية وسينجذب اليها. فقد جاء فليحان مع زوجته الأولى مع اهله وعشيرته من البرية وكان على وفاق مع زوجته ولم يخطر بباله انه سيرتبط بزوجة ثانية بسبب معاناة امه مثيلة من الضرائر.

رغم ان زوجته شيخة كانت تتحمل كل نزواته ولم تتخل عنه رغم اساءته لها واليوم هو في الخمسين في عمره يجلس على كرسي متحرك لا يستطيع النهوض منه لان سرحان ابن عم رسمية حاول قتله بعد سنوات مما جرى في اعتداءه على رسمية فوق العشب وتحريضه بطلب الانفصال عن ابن عمها¹.

وقد صمت سرحان سنوات عديدة الى ان جاءت اللحظة المناسبة وهي التحاقه بالمقاومة فتذكر جرح فليخان فأطلقت عليه النار لكنه لم يقتله فتعطلت ساقيه بسبب الرصاصة التي استقرت في حوضه.

¹. شقير، محمود، مديح لنساء العائلة بيروت 2015 ص 17.

هذا إضافة الى عار اخر لحق بالقبيلة وهو هروب اخته فلحة التي هربت مع حبيبتها².

كذلك مأساة استشهاد اخيهم يوسف الذي قضى خمس سنوات في سجن عكا وبعد خروجه التحق بالثورة التي قادها عبد القادر الحسيني ولما استشهد عبد القادر في معركة القسطل لم ييأس يوسف بل واصل القتال مع الثوار واستشهد في احدى المواجهات دفاعا عن القدس وظلت امه سميحة الزوجة الخامسة بترتيب الزوجات للاب منان اللات تلح عليه بعد خروجه من السجن كي يتزوج كانت الراغبات في الزواج من بنات العشيرة يعترضن طريقه لكي يلفتن نظره اليهن لعله يختار احدهن زوجة له، الا انه لم يكثرث.³

اما وضحه بنت عبد الهادي زوجة منان محمد العبد اللات وهي ترجو وتتمنى ان يكون ابنها محمد الأصغر عند حسن ظن ابيه منان ليصبح كبير العائلة. ويقدر على المهمة التي كلفه بها ابوه. ففليحان ابن ضرتها مثيله ينافس ابنها محمد الأصغر على زعامة العائلة. وفليحان يسمع كلام امه وهي لا تحبهم وتغار منهم.

وكان قصدها بذلك ان تبقى مسيطرة على قلب (منان) لكن ظنها خاب حسب راي وضحه لأنها اصغر زوجاته وهي السادسة في الترتيب ومثيلة تكبرها بعشرين سنة .

وصفية اكبر منها وسميحة أيضا والرحمة على فاطمة ووظفا. ومن اليوم الذي رحلوا فيه من البرية ووضحا تقول لمنان ان ابنه فليحان ما له امان. وكانت دائما توصي ابنها محمد الأصغر الا يرافق فليحان الى أي مكان قد يأخذه معه ليرعى معه الأغنام ويرميه في بئر مهجورة مثل ما فعل اخوه يوسف ورموه في البئر⁴. لقد كانت عشيرة العبد اللات غادرت البرية في أواسط الثلاثينات واقامت بيوتها قريبا من القدس حيث بنوا هناك بيتا في رأس النبع⁵.

². مديح نساء العائلة، ص 20.

³. نقش المصدر السابق، ص 22.

⁴. هناك، ص 25

⁵. هناك، ص 31.

كانت سناء قد اتفقت مع محمد الأصغر على عدم الانجاب وتأجيل الامر الى بعد خمس سنوات ولم يخبر محمد الأصغر والديه بهذا الامر لأنه من وجهة نظرها قرار هدام، يهدد بأضعاف عشيرة العبد اللات، وربما يعرضها لخطر الانقراض وهو يتناقض مع المهمة التي كلف فيها منان ابنه محمد الأصغر وهو ان يتكفل هموم وامور القبيلة.

كانت نجمة زوجة العم عبد الودود اخو الحاج منان تعمل في بيت موظف في احد البنوك يقع البيت في حي الطالبية وهناك كانت تقيم النخبة الميسورة من الموظفين والتجار والمتقنين المقدسيين. كانت تخرج نجمة من بيتها في حي المغاربة في القدس القديمة كل صباح قاصدة حي الطالبية لتنظيف بيت الموظف ولأعداد الطعام له ولزوجته التي تعمل معلمة ولأولادها اللذين يعودون من المدرسة بعد الظهر، نجمة كانت قانعة بحياتها في خدمة حنا وعفيفة لذلك تركت راس الضبع وسكنت المدينة الا ان العائلة كان لها رأي اخر خصوصا عندما خلعت نجمة ثوبها الطويل ولبست فستان.

ولما اقترب الخطر من حي الطالبية قالت نجمة انها ارتعبت من دوي القذائف واصوات طلقات الرصاص وتوقعت ان مجدها البسيط الذي صنعه بجدها واجتهادها على وشك ان ينهار.

غادرت الحي عائلات كثيرة بسبب الهجمات المتكررة على الاحياء المجاورة وبدا ان الهجوم القادم سيكون على حي الطالبية ترك الناس بيوتهم واثاث البيوت وغادروا بعد سقوط الجزء الغربي من القدس غادر حنا وعفيفة واولادهما بيتهم في حي الطالبية وعادت نجمة الي حي المغاربة الذي لم يسلم من تساقط القذائف على بيوته الواهنة ظلت متشبثة ببيتها ومعها زوجها عبد الودود. وكان القتال على اشده في القدس. كانت نوال ابنة نجمة تعمل معلمة في مدرسة بالمدينة ولديها ثلاثة ابناء من زوجها الذي يعمل طبيب اسنان والتي كانت نادرا ما تزور راس النبع، كانت تنفر من نساء العشيرة وكن ينفرن منها ويتهمنها بالتعالي عليهن.⁶

⁶ هناك ص 40-ص 41.

وقبل زواج نوال من الطبيب كان قد طلبها ادهم ابن الحاج منان الا انها لم تقبل به زوجها فأصيب بصدمة تركت اثرا عليه ورسمت له مسارا لا يخلو من مفاجآت، وكان الحاج منان قد اصيب بغصة وابقاها في صدره مثلما احتمل غيرها من الغصات، وكان محمد الاصغر يرى ان ذلك عبئا يضاف الي اعبائه لانه المكلف بجمع شتات العائلة. رغم ان هذا الذي حدث مرت عليه سنوات الا ان اثاره ما زالت باقية حتى الان تحفر في جسد العائلة ولا تفرقه بأي حال ، ولم تكثر نوال له فقد نسيته في الحال وواصلت العيش خارج السور في الجزء الشرقي من القدس وواصل العم عبد الودود ونجمة العيش في حي المغاربة قرب السور.

اما معزوزة اخت الحاج منان فقد تزوجت بعد ان طال انتظارها للخطاب وخاصة بعد موت خطيبها وحبيبها حران بن حفيظة. لقد جاءها ابن الحلال مع فوج الحنود الاردنيين الذين دافعوا عن القدس القديمة عام 1948 اصيب الجندي صايل بجرح في الكتف ثم بإسعافه في مستشفى ميداني ولم يبرأ جرحه الا بعد وقت، تعرف اليه اثناء القتال بيوسف وقد جاء به يوسف الى رأس النبع ليقتضي نقاهة تعرف خلالها على العمة معزوزة وقد احبها واحبته وهي اكبر منه باثنتي عشرة سنة فكانت في الثانية والاربعين الا انه شغف بها، فغادر صايل راس النبع ومعه معزوزة الى مادبا التي اقامت فيها سنوات على مقربة من ضربتها زوجة صايل الأولى.

اما محمد الكبير ابن وضحا اخو محمد الاصغر كان يعمل في حديقة القبر المقدس ومعه مريم التي اصبحت زوجته وكانت المدينة بمسلميها وبمسيحياتها تنهض من عثرتها وتستعيد قدرتها على التحدي والبقاء. فقد عاشا في بيت استأجراه خارج سور المدينة. قبل انه سافر معها الى اليونان وهناك تزوجا في الكنيسة الارثوذكسية بعيدا عن الطقوس المتبعة في القدس وقيل انهما ابرما عقد زواجهما في كنيسة البشارة للروم الاورثوذكس الكائنة في الناصرة. ولم تغضب العائلة من هذا الزواج بل دعوا لهما بالخير والبركة لأنها قبلت به زوجها لها وهو الذي كان متهتكا لا يستقر على

حال 7.

عادت فلحة الى راس النبع مع اخيهما فليحان بعد غياب وهروب مع حبيبتها نعمان بائع الحلوى وقد جاءها مرات ليخطبها ويتزوجها لكنه لم يستجب لطلبه رغم ان الام مثيلة كانت راغبة في تزويج فلحة ببائع الحلاوة لكنها ذهبت الى الحج والمشكلة طالت بلا حل واخيرا فقررت الهروب معه.

فلقد جاء بها فليحان الى رأس النبع رغبة في تحديد ما إنقطع بينهم فأقامت في ضيافتهم ساعات ثم عادت مع اخيها فليحان الى المخيم الذي تقيم فيه مع زوجها نعمان.

بعد زواج فليحان من رسمية فتحت عليه ابواب الرزق وتوثقت علاقته بالشيخ فكان يلتقيه في سوق الحلال هو ورجاله لبيع الخراف والمجديان قرب سوق القدس. بعد التعارف في السوق دعاهم للجلوس في مقهى من الواقع في اول طريق الواد وقد قال كبيرهم وهو شيخ العشيرة لفليحان انه يعرفه وانه من عشيرة لها مكائنها بين العشائر لذلك دعاهم الى وجبة غداء في عشيرته فتوجه فليحان وبعض من رجاله لتلبية الدعوة الى مضارب المزارعة الكائنة على الطريق بين القدس واريحا ومعه ثلاثة من اقرب المقربين اليه وقد سر لحسن الضيافة التي لقيها من الشيخ وابناء عشيرته وقام بتوجيه الدعوة له ولمن يرغب في اصطحابهم معه من اقاربه لتناول طعام الغداء في بيتهم في رأس النبي، فلي الشيخ الدعوة وجاء ومعه خمسة من ابناء عشيرته وتم استقباله هو ووالده منان وعدد من ابناء عشيرة العبد اللات وقام بذبح الذبائح وبتقديم المناسف للضيوف.

بعد زواجه باسبوعين من رسمية التقى مع الشيخ زعل وكان هو وبعض من افراد من عشيرته، قال ان لديه تجارة يريدون ويرغبون في تعاونه معهم وسوف يجني من وراءها اموالا كثيرة لكن عليه تجنب المخاطر وتحملها، فالامر يمكن ان يكون فيه قتل او حبس فالحكومات لا ترحم في هذا الشأن فتصافحا وتعاهدا على الوفاء وطلب منه اصطفاء مجموعة من رجال عشيرته لحماية البضاعة من غارات العشائر الاخرى عندما تمر القافلة من اراضيها ولتأمين وصولها الى الحدود الجنوبية وازداد حماس الشيخ زعل عندما اخبره فليحان ان بإمكانه تأمين شحنات من البضاعة الى دولة العدو التي نشأت حديثا وصار لها حدود مع رأس النبع.

وهكذا إغتنى من تجارة الحشيش واشترى لرسمية وشيخة وامه اساور وخواتم وقلائد من ذهب ولأبيه عباات مقصبة، ولما انتبه لمصدر ثروته نف ر منها لكنه لم يتخذ منه موقفا حازما، اكتفى بالامتناع عن تقبل اية ملابس او نقود خوفا من

غضب الله الا ان فليحان بقي مصرًا على جني المال. فصارت له سطوة⁸ في العشيرة واصبح له معارف كثيرون في القدس وفي مدن اخرى علاوة على صداقات مميزة مع مسؤولين في عمان وقد اغدق عليهم الهدايا واقام لهم الولائم ولم يتحقق المال بسهولة فقد خاض هو ورجاله معارك عدة في الليالي مع قطاع الطرق. استمرت التجارة عبر الصحراء وصارت الاموال تتكدس في جيوبهم ينفق منها ما يشاء ويقيم الولائم لعشائير راس النبع وغيرها من العشائر وكذلك اهل القدس والقرى المحيطة بها.

⁸. هناك ص 53

ذات مرة عام 1953 دعا الجنرال جلوب باشا الملقب (ابو حنيك) لتناول طعام الغداء في بيته في رأس النبع وقف أبناء

العشيرة معه وقفة مشرفة، ذبحوا الذبائح وأشعلوا النيران. كان يتمشى بخيلاء في الساحة التي اصطف فيها عشرات

ولما وصل الموكب من السيارات العسكرية هبط القائد من إحداهما .الرجال من وجهاء العشائر انتظارا لوصول القائد

⁹ . وهو محاط بالحراس المدججين بالسلاح زغردت نساء العشيرة وغنيت ترحيبا بالضيف الكبير

بعد عام من زواجه من رسمية تصالح مع والدها وعرف فليحان انه أبعد ما يكون عن اللؤم وضيق الأفق الذي يسم

بعض القرويين لكنه عندما وقع ما وقع خاف على إبنته من المترمتين في عائلته وتوقع أنه لن يكون قادرا على حمايتها

وكان مضطرا الى الامتناع عن حضور عرسها كي لا يتعرض .والدفاع عنها لذلك أثر ان يقيها في بيت الشيخ زعل

لغضب الغاضبين. ولما دخل بيت رسمية قبلها على الخدين والجبين وهي احتضنته وقبلته واحتضنها إخوانها وإنفتحت

¹⁰ . صفحة جديدة في العلاقة بينهما.

في عام 1956 حل موعد الانتخابات في عموم البلاد إحتدم الجدل السياسي في البيوت وفي المقاهي وفي النوادي وفي

كل مكان، فكر فليحان بأن يرشح نفسه للبرلمان ثم إنصاع لنصيحة والده بصرف النظر عما يفكر فيه بسبب إحتدام

المنافسة التي تجعل حظوظه في النجاح لا تذكر. فالتحق الشيخ منان بالحزب الوطني الاشتراكي. ثم قال إنه إلتقى زعيم

الحزب في عمان واعجب في كلامه من رصانة واتزان وقال ان علاقة صداقة تربطه بمرشح الحزب في القدس وهو محام

.معروف

جمع الشيخ منان ابناء العشيرة في مضافته، وراح يحثهم على الادلاء باصواتهم في الانتخابات لصالح صديقه المحامي.

فوجيء بان عشيرة العبد اللات التي كانت رهن إشارته لم تعد هي العشيرة نفسها بعضهم قال نحن مع البشيين والبعض

الآخر مع الحزب الشيوعي فأخرون مع حزب التحرير وفليحان تقدم للترشح وأعلن انه مرشح القرويين وهو من المواليين

للنظام الملكي.

⁹ . هناك ص 55

¹⁰ . هناك ص 10

بعد الانتخابات أطاح القصر بالحكومة الوطنية وتم حظر الأحزاب السياسية وإعتقال المنتسبين إليها، أستثنيت من ذلك جماعة الإخوان المسلمين، وتم إعتقال محمد الأكبر وشملت البلاد حملات تفتيش واسعة قام بها الجيش ورجال الامن وذات صباح إنتشر أفراد الجيش في رأس النبع واقتحموا البيوت وفتشوا الخزائن والجوارير، فتشوا كل شيء بحثا عن أسلح. وكتب شيوعية ومنشورات فإزدادت وتيرة القمع في البلاد واعتزل الشيخ منان السياسة وإكتفى بمتابعة نشرات الأخبار لقد سافر عطوان وهو الأخ الأصغر لفليحان الى البرازيل للاستقال بالتجارة، فقد انتشرت في اوساط العشيرة وفي رأس النبع وفي أنحاء البلاد أخبار الرخاء الذي تنعم فيه البرازيل وفرص العمل الكثيرة فيها، وصل عطوان الى ريو دي جانيرو ومعه ثلاثة من ابناء العشيرة وذات مرة إنحال رجل ضخم الجثة على عطوان بالضرب المبرح وابناء العشيرة يرون ما يجري له من دون ان يتجرأوا على نجاته او حتى التدخل لوقف الاعتداء عليه. فبعد هذا الأمر قرر الانتقال للسكن لبين وبعد أشهر قليلة تعرف على بارازلية وتزوجها فصارت الأموال لوحده مستقل عنهم وكان يرسل لوالده وزوجته النقود، التي يرسلها قليلة وقد انجبت له ولدا اسمه سيمون.

اما فليحان فمع الزمن توسعت تجارته وصار يتاجر بالأجهزة الكهربائية مثل الدرجات والغسالات والمكانس والتلفاز والمذياع، فصار يبيعها بالتقسيط ويمنح قروضا ميسرة لبعض الزبائن على ان يسددها بفوائد محدودة وبني عمارات للابحار.

اما محمد الكبير فقد سجن منذ خمس سنوات وزوجته مريم تزوره بانتظام وابوه الشيخ منان يزوره باوقات غير محددة فيعود من الزيارة مهموما حزينا من اجل محمد الذي يفنى عمره بالسجون. المحامي أخبرهم انه سيطلق سراحك اذا ولما ذهب اليه الشيخ منان ليوقع على صحيفة . استنكر الحزب الشيوعي ونشر استنكاره في الصحيفة اليومية الاستنكار التي كتبها المحامي الا انه رفض ومزق الصحيفة والأوراق.

أما أدهم أخيه الذي كان معجبا في نوال منذ ان رآها في السوق مع زميلاتها الطالبات في أوائل الاربعينيات وهن يقمن برحلة داخلية في المدينة صار يحلم بها ويرغب في التقرب منها، يغادر الفندق الذي يعمل فيه ويذهب للتسكع في اسواق المدينة وصورتها لا تفارق خياله لكن نوال لم تكن تفكر فيه، رغبت في استكمال دراستها في المدرسة ومن ثم الحصول على وظيفة وبعد رفض نوال له صار اقرب الي التهنك والاستهتار بالقيم والعادات المتعارف عليها بين الناس في رأس النبع صاو يحتسي الخمرة في وضح النهار ، وواصل عمله خادما في فندق بالمدينة وقيل انه اقام علاقات عابرة

مع السائحات الاجنبيات ثم سافر الى هولندا¹² الا انه مل الغربية فعاد الى القدس ليشغل في الفندق القديم الذي كان يعمل فيه من قبل. وكان يأتي لرأس النبع في الاجازات ولا يلتقي الا قليلا بأبناء العائلة، فكان متأثرا في طباع الاجانب يحب الانزواء واعتقل بسبب مشاجرة مع شباب إسرائيليين لم يطبقوا رؤيته وهو يحاصر عاهرة اسرائيلية، سجن وفي السجن تأثر بفدائيين وغادر السجن ليعود اليه بعد تهريبه لأسلحة ثم قبض عليه جراء ذلك وحكم عليه بالسجن ثلاثا وعشرين سنة.

العمة عزيزة ماتت في اليوم الثالث لحرب 1967، فقد اصابها مرض مفاجيء ولم تستطع العودة الى بيتها وزوجها صائل وكان محمد الكبير قد غادر السجن بعد ثماني سنوات كان ذلك قبل الهزيمة وحين لم يأت معها ولم يتمكنوا من إخباره، وقعت الهزيمة كان في السجن.

¹². هناك ص 106 -12.

الفصل الثاني :

2.2 شخصيات الرواية وأدوارها :

تحتل الشخصية مكانة مهمة في بنية الشكل الروائي وهي القيمة المسيطرة في الرواية التي تتكفل بتدبير الاحداث وتنظيم الافعال وإعطاء القصة بعدها الحكائي وهي المسؤولة عن نمو الخطاب داخل الرواية باختزاناته وتقطعاته الزمانية والمكانية. كما تصنع الشخصية الكلام الذي يصفها ويصورها وينقل افعالها ويظهر من خلال ذلك دورها. كما ان الشخصية هي مفتاح العمل الروائي وتؤثر بقوة ليس في سير الاحداث وحسب بل حتى في الأسلوب الروائي

13

وبما ان الرواية تهدف الى تجسيد المعاني الانسانية فمن الطبيعي ان تكون الشخصية هي محورها فالرواية ليست حياة حقيقية بل حياة نصية توازنها وتمثلها وبالتالي فإن الواقع يشكل المصدر الاكبر لالتقاط الشخصيات الروائية المتعارف عليها بحرفية واصلائية مكافئة لمتطلبات القصة.

شخصيات الرواية هي: محمد الاصغر ، هو محمد بن منان العبد اللات الملقب بالاصغر للتمييز بينه وبين أخوين آخرين، أطلق أبوه عليهما الاسم نفسه تقديرا لوالده الشيخ محمد الذي كان له شأن كبير، احدهما لقبه الكبير والثاني لقبه الصغير.

كان والده قد اعلن مرات عديدة امام ابناء العائلة انه يضع ثقته فيه ويعلق آمالا عليه بأن يجمع شتات العائلة وان يقوم بأعمال مجيدة ترفع اسم عشيرة العبد اللات التي اتسعت وتشعبت وتناثر .بحمي نساءها من اي سوء، أبناءها في كل مكان.

¹³.الناج، سيد حامد. بانوراما الرواية العربية الحديثة، القاهرة، دار المعارف، 1980 ص 93.

كان يعمل في المحكمة الشرعية في القدس توظف فيها عام 1958 وظيفته فب المحكمة لم تكن على قدر كبير من الاهمية لكن ابناء عشيرته ظلوا الى زمن ما يعتقدون انه موظف مهم وهم يرونه بالبدلة الكحلية وبربطة العنق الزرقاء فوق قميص ابيض وبالحقيبة السوداء التي يحملها في يده، يضع فيها اوراقا وملفات وهو قد صدقهم، صدق انه موظف صاحب شأن رغم انه يقع ضمن فئة صغار الموظفين، وقد ازدادت ثقته بنفسه وإعتقد بأنه سيكون قادرا على ارضاء ابيه¹⁴. بتحقيق رغبته في جمع شتات العائلة.

لقد ظفر بمثل هذه الوظيفة في زمن لم تكن للوظائف فيه سهولة المنال وكان الفضل في ذلك لأبيه الذي ظل قادرا على استثمار علاقاته مع بعض من برزوا بعد وحدة الضفتين الشرقية والغربية واستلموا مناصب في مختلف الدوائر والمؤسسات الحكومية. فطلب من أحدهم ان يتوسط له للظفر بوظيفة، فوجد له وظيفة كاتب في المحكمة الشرعية في القدس واستلموا مناصب في مختلف الدوائر والمؤسسات الحكومية فوجدت له هذه الوظيفة كاتب في المحكمة الشرعية في القدس.

وقد اعجب في سناء المتزوجة منذ ثلاث سنوات ولكنها لم تنجح في الحياة الزوجية وقد تزوجها رغم انها تكبره بخمس سنوات، وقد كان محمد في صغره قد اصيب في السعال الديكي لمدة ثلاث سنوات وقد عجز الاطباء عن شفائه.

¹⁴. مديح نساء العائلة ص 11 .

فليحان: هو فليحان بن منان العبد اللات، سماه ابوه في هذا الاسم تخليداً للذكرى عمه فليحان الذي قتل في واحدة من حروب السلطنة العثمانية. هو مغرم بغناء النساء وكان متعلقاً في أغاني سميرة توفيق، كان يتحركش في النساء ويطاردهن حتى نجح في اغواء رسمية بعدما اجبرها وهو يرعى الاغنام ان تضاجعه لذلك تعلق بها اكثر واحبها واقنعها ان تترك خطيبها وهو ابو عمها حسان. فرسمية خربت حساباته وادخلته في مسار لم يكن في البال. رغم انه حصل على قسط من التعليم كان يؤله للعمل كاتبا في ورشة لشق الطرق او موظفا في شركة الا ان الرغبة في رعي الاغنام لم تفارقه فمع الاغنام يطل على تماس مع الطبيعة التي تمنحنا العشب الذي ننتظره بشغف كل عام ومن الاغنام يحصل على رزقه وفيها يجد معنى لحياته مع ان سبل رزقه تنوعت وتعددت في ما بعد وتجمعت لديه ثروة لم يملكها احد من إخوته او من ابناء عشيرته، رعي الاغنام هو الذي اخذه الى رسمية او لعله هو الذي جعلها تظهر في افق حياته.

والان هو لا يقدر على النهوض من فوق الكرسي المتحرك، والسبب هو سرحان ابن عم رسمية الذي حاول قتله لقد كان فليحان دائما التلصص على النساء اللواتي ينهمكن اما في خض الحليب المعبأ في قرب من جلود الماعز، كان يجد متعته في مراقبة الحياة اليومية للنساء اللواتي لا تهدأ حركتهن من الفجر الى ما بعد غياب الشمس.

كان لدى والده خشية من اقدامه على فعل ما يجعله عرضه للاذى وهو ما زال غير قادر على التخلص من العار الذي يلحق به دائما وعندما تكرر تجواله المريب بين المزارع وبعد تورطه في فضيحة اخرى خطب له ابيه بنتا من بنات العشيرة اسمها شبيخة لها جسد متين لم تكن باهرة الجمال الا انه احبها¹⁵، وعندما ارتحلوا من البرية الى مشارف القدس احتملت شبيخة كل نزواته ولاحظت منذ ايامها الاولى معه كيف انه يسعى لتحصيل المال بكل وسيلة مشروعة وغير مشروعة وقد صدمت عندما شغفت برسمية ولم تتخل عنه رغم اساءته اليها.

¹⁵. نفس المصدر السابق ص 20 .

رسمية: لقد تركت رسمية المكان الذي ولدت فيه وعاشت في رحابه حتى أصبحت صبية بالغة وانتزعت من المدرسة التي كانت تتلقى الدروس فيها ثم اضطرت الى ترك البيت والمدرسة والى ترك القرية وما فيها من شجر وماء، لتأتي مرغمة على العيش في مخيم تتجاوز خيمه على نحو مربك حيث لا تتوفر الخصوصية ولا تتحقق الحياة الكريمة الامنه رغم مرور الزمن الا ان انوثتها التي ما زالت تحتفظ بها رغم مرور الاعوام. وقد كانت رسمية واهلها من ضمن المشردين.

وضحا: هي وضحا بنت عبد الهادي زوجة منان محمد العبد اللات، وهي اصغر زوجات منان، السادسة في الترتيب ومنان يهتم بها كثيرا لانها تعرف كيف تحتفظ به وكيف توفر له الراحة والاطمئنان. ابناؤها هم محمد الكبير ومحمد الصغير ومحمد الاصغر، وكانت دائما تهتمس لمنان بأن ابنه من ضربتها مثيلة لا ينفع.

سناء: هي سناء رشيد محمد يوسف عمرها خمس وعشرون سنة تعمل موظفة في بنك تسكن في مدينة القدس. تريد الطلاق من زوجها معتز احمد محمود يوسف لأنها لا تريده وهو لا يريد لها، وتري بانه لا يوجد اي فرصة للإصلاح بينهما، كان شعرها مائل الى لون الذهب يتراعى على كتفها وفتانها الخمري ينسدل على جسدها ويظهر من تحته

¹⁶ كانت مسرفة في اموالها، وتتأخر في الانجاب حتى ظهر انها امرأة عاقر. . ساقان يغطيها جوربان ناعمان

¹⁶ هناك ص 33 .

نوال: هي ابنة نجمة والعم عبد الودود أخو الشيخ منان. تعمل معلمة في مدرسة بالمدينة ولديها ثلاثة أبناء من زوجها الذي يعمل طبيب أسنان وهي نادرا ما تزور رأس النبع، تقول لماذا أزورها والناس فيها ما دالو يحملون عقلية البرية التي جاءوا منها. كانت تنفر من نساء العشيرة وينفرن منها ويتهمنها بالتعالي عليهن، وحين يقمن مجلس في الصباح او في المساء يجدن في استغابتها مادة دسمة الحديث. يشرحنها من شعر رأسها الى أخمص قدميها ويتهمنها بأن الخطيب عبد القادر الذي تعلمت على يديه القراءة والكتابة كان على علاقة بها، تدعي انه كان يداعبها دائماً .

رغم ذلك فقد احتل الشيخ منان تعريض نوال بالعشيرة وبأهل رأس النبع ولم يكف عن التفاخر، امام أصحابه من تجار القدس بأن ابنة اخيه متزوجة من طبيب اسنان، وقد كان الشيخ منان قد طلب يدها لابنه أدهم الذي احبها لكنها لم تقبل¹⁷ .

عطوان: هو الاخ الاصغر لفليحان من امه مثيلة. سافر الى البرازيل للاشتغال في التجارة، إذ انتشرت أخبار الرخاء الذي تنعم فيه البرازيل وعن فرص العمل الكثيرة فيها، فوصل الى ريو دي جانيرو ومعه ثلاثة من أبناء العشيرة، وذات مرة إنحال عليه بالضرب رجل ضخمة الجثة ولم يهب أبناء عشيرته لنجدته فتركهم وسكن بالقرب منهم ولكن بيت لوحده.

وهناك تعرف على امرأة برازيلية ووقع بحبها ووقعت هي بحبه ثم تزوجها وهو يعيش معها بإنسجام، وقد رزق منها بأول مولود اسماء سيمون بوليفار. رغم ان لعطوان زوجة¹⁸ اخرى اسمها فهيمة ولديه ابن منها واسمه منان. كان في بداية سفره الى البرازيل يرسل إليهم اموالا كثيرة، لكن بعد زواجه قلت هذه الاموال لكثرة التزاماته العائلية يقول عطوان: "انا أعرف ان أبي كان غير راضٍ عن بعض تصرفاتي عن متاجرتي في الحشيش وعن تهربي البضائع، الى دول العدو لكنه يعلم علم اليقين اني لا يمكنني ان اخون ضميري واصبح عميلا للاحتلال¹⁹ .

¹⁷.هناك ص 41.

¹⁸.هناك ص 73.

¹⁹.هناك ص 125.

الشيخ منان: هو منان محمد العبد اللات يعرف نفسه بأنه من عائلة مناضلة مقاومة للمحتل، إنه فليحان يطلق عليه أحد الفدائيين النار. وقد شارك الشيخ منان في ثورة يته وثلاثين وهو ابو الشهيدن وطاف ويوسف. وهو مختار العشيرة في زمن الإنتداب البريطاني وفي زمن الحكم الاردني، لكنه لم يقبل ان يكون مختارا بعد هزيمة سبعة وستين فقد رمى ختم المخترة في مكتب الحكم الإسرائيلي.

سرحان: هو ابن عم رسمية وخطيبها الذي تركته لأن فليحان دخل حياتها وشجعها على ذلك، إلتحق بالمقاومة الفلسطينية وباب الإنتقام والثأر من فليحان ما زال يعتمل في داخله.

محمد الأكبر: هو الأخ الأكبر محمد الأصغر امه وضحا وابوه منان، كان ناشطا في الحزب الشيوعي داهمت قوات الأمن بيته واعتقلته وحكم عليه مع المئات من رفقاته بالسجن ونال أغلبهم احكاما عالية وقد كان يعمل محمد الكبير في فندق الإمبسادور الكائن في حي الشيخ جراح نادلاً يقدم الطعام لزبائن الفندق وكان قبل ذلك قد عمل في يافا والقدس.

سلمان: هو أخ محمد الأصغر لكن من الام سميحة، وكان يأتي من الكويت الى القدس متسللا عبر النهر بعد حرب 1967. وقبل الهزيمة كان الدخول ميسره ولما جاء كان محملا بالهدايا، وقد احضر معه قمصانا وبنطلونات وربطات وفساتين وعطور.

ولما وقعت الهزيمة لم يعد قادرا على القدوم الى البلاد بسبب إغلاق الحدود، وقد جاء متسللا لكي يتزوج ابنة عمه ويعود بها الى الكويت، ولما وصل الى راس النبع²⁰ وصل ممتقع الوجه مغير الملابس زغردت امه سميحة وبكى ابوه منان، تزوج ابنة عمه من دون رقص وغناء لان البلاد كانت غارقة في الدماء. وقد اخذ عروسه ومضى عبر الحدود الى الكويت فقد كان الغزاة يسهلون للخارجين سبل الخروج.

²⁰. هناك ص 126

فزاع: هو ابن معزوزة كان يأتي مع امه لزيارة العائلة وكان على قدر من النباهة والذكاء، التحق بالجيش منذ ان بلغ الثامنة عشرة من العمر. وجاء الى الضفة الغربية وشارك في الحرب التي إنتهت بجزيمة. امه معزوزة اخت منان ماتت في أيام الحرب ولم يعرف عن موتها الا في ما بعد. وكان قد انسحب مع جنود كتيبته في اليوم الخامس لنشوب الحرب بعد أن أصبح ميزان القتال في غير صالحهم. فزاع وكل الجنود الذين معه لم يقدرُوا على مواجهة الطائرات والدبابات واكتشفوا ان ذخيرتهم فاسدة .

معزوزة: هي اخت الشيخ منان كانت مخطوبة لحران بن حفيظة لكنه توفي جاءها ابن الحلال مع فوج الجنود الأردنيين الذين دافعوا عن القدس القديمة عام 1948 وهو الجندي صايل الذي اصيب اصابة بالغة في الكتف وقد تم إسعافه في مستشفى ميداني ولم يبرأ بجرحه الا بعد وقت، وقد تعرف إليه أثناء القتال أخيه يوسف وقد جاء به الى بيتهم في رأس النبع ليقضي فترة نقاهة تعرف خلالها الى معزوزة التي كانت تقدم له طعام الفطور بنفسها فتقدم لخطبتها رغم انها تكبره بسنوات فغادر رأس النبع ومعه معزوزة الى مادبا التي اقامت فيها سنوات على مقربة من زوجته صايل الأولى.

نجمة: هي زوجة اخ الشيخ منان يدعى العبد الودود كانت تعمل في بيت موظف في أحد البنوك، يقع البيت في حي الطالبية. كانت تعمل في تنظيف بيت الموظف وتعمل على إعداد الطعام له ولزوجته التي تعمل معلمة. وقد كانت فاعلة في عملها هذا. تعرضت لعدم الاستقرار في عملها ومسكنها بسبب الحرب.

وطاف: هو ابن منان واخو محمد الاصغر استشهد في اواخر الثلاثينات واستشهدت زوجته مراودة بعده. فقد جاءت عصابة صهيونية الى رأس النبع تحت جنح الظلام وراحت تجوب أطراف القرية وتطلق الرصاص، مراودة بعد استشهاد وطاف لم تغادر رأس النبع بل بقيت مع عائلة زوجها. وامضت فترة حدادها سبع سنوات خرجت من بيتها وفي يدها حجر. اعتقدت بوسعها تكرار فعلتها حين شجت رأس احد ممثلي الوكالة اليهودية دفاعا عن زوجها وطاف الا انه قتل وهي قبل ان تقذف الحجر جاءت رصاصا من احد افراد العصابة وارتدت قتيلا.

الفصل الثالث

3.1-القضايا الرئيسية في الرواية :

قامت رواية مديح لنساء العائلة بتقديم وعرض الكثير من القضايا التي تعكس حياة عشيرة العبد اللات التي إنتقلت من البادية لتسكن قرية قريبة من القدس اطلق عليها اسم قرية رأس النبع.

ومن أهم القضايا التي إنعكست في الرواية هي:

1-وصف الحياة الاجتماعية :

لقد تناولت الرواية الحياة الاجتماعية لسكان القرى من حيث عاداتهم وتقاليدهم وطريقتهم في الملبس وشكل الحياة التي وفقها يعيشون، ثم التغييرات التي حصلت لهم بفعل الانتقال من البادية الى القرية فهذا العرض للواقع الاجتماعي في فلسطين في هذه المرحلة يجعل من النص رواية مفيدة للغريب عن بلاد الشام وعادات اهله وللبعيد عن واقع الاحداث الكبرى التي حصلت في هذه المنطقة خلال النصف الثاني من القرن العشرين.¹

ومن الصور التي تظهر صورة المجتمع هو ان المجتمع لا يقبل بالزواج من المرأة المطلقة والتي تكبر الرجل بسنوات فهذه كسر للعادات والقيم التي اعتاد عليها المجتمع، كذلك يشهد الأمر صعوبة عندما تكون الزوجة عاقر ولا تقدر على الانجاب.

¹ . شاهين محمود , عناق الشكل و المضمون في مدح لنساء العائلة ,مجليه مشارق مقدسيه عدد 2 . 2015 , صفحه 1.

وهذا ما حدث مع سناء فأظهرت لمحمد الأصغر انها غير مستعجلة على الإنجاب وكانت قد إتفقت مع محمد الأصغر ان تؤجل هذا الامر خمس سنوات، وهنا القرار حسب العشيرة هو قرار هدام يهدد بإضعاف عشيرة العبد اللات وربما يعرضها لخطر الانقراض، ورأي العشيرة ان الاكثار من انجاب الاولاد الذكور لها علاقة بتعزيز قوة العشيرة لتكون قادرة على مواجهة العشائر الاخرى في اي شجار. ورغم ان الانسجام كان موجودا بين سناء ومحمد الاصغر وحياتهم يعيشونها دون مفاجآت الا ان هذا الانسجام لا يريح الوالدين ما دام لا يتجلى في اولاد يولدون الواحد بعد الاخر. ومن بين الأمور الحياتية التي تجلت في رواية "مديح لנסاء العائلة" كان في بعض السلوكيات، ففي العشيرة تتجلى الرغبة في المحافظة على الاسرار، يتعرض الكاتب الى كثير من المشكلات الاجتماعية في تلك الحقبة الزمنية عن طريق الاحداث او شخصيات الرواية:

- تعدد الزوجات وعدم العدل بينهما، كان الزوج يهجر إحدهن لصالح الاخرى فنرى منان يفضل زوجته وضحا واما فليحان فيعيش مع زوجته الثالثة رسمية ويلاشى بالتدريج ذكر الزوجة الاولى شيخة في الرواية حتى ننسى ولا نرى من يذكره بحقوقها.
- تزويج القاصرات دون موافقتهن حتى لو كان الرجل لا يليق بهن .
- لوم المرأة على عدم الانجاب ودفع زوجها للزواج من اخرى .
- هجرة الرجل وتركه لزوجته خلفه دون الالتفات لحاجتها الانسانية .
- الجهل الذي كانت تحياه العديد من النساء حيث تعيش في عالم يحكمه الخوف من المجهول تتقي الجن والسحر وتلجأ الى المشعوذين.
- لقد حملت الرواية مشاهد واحداثا واقعية كثير عن الايمان بالجن والعفاريت والحسد والخوف منها، العلاج عند المشعوذين وغيرها، الزواج، تعدد الزوجات، زواج الخطيفة، زواج الاقارب، الهجرة الى الكويت والبرازيل وسطوة شيخ القبيلة في مرحلة ما.

2- العادات والتقاليد لدى النساء :-

لقد جعل شقير أحداث الرواية بالقرب من القدس ليتناول العادات والتقاليد لدى النساء فهي تتغير حسب الأزمنة وحسب المكان وحسب المهنة وتفهم الزوج، فنجمة زوجة العم عبد الودود تعمل في بيت موظف وتتصرف بشكل مغاير كانت بنات العائلة ممن سكن المدينة والمتعلمات من بنات القرية يرتدين الفساتين أسوة بنساء المدينة. وبعد تردد لم يدم طويلا ارتدت هذه الفساتين بعض بنات العائلة ممن التحقن بالمدارس وتخرجن فيها وكن يقلن لمن يعترض سبيلهن من الامهات او الاباء يحتذين بنوال ابنة نجمة وعبد الودود، التي تقيم في المدينة وترتدي الفساتين بشكل اعتيادي.²

كذلك سناء زوجة محمد الاصغر حين قامت برحلة الى البحر الميت ارتديت ملابس السباحة وسبحت بالماء. وخلعت حذاءها ورفعت فستانها الى ما فوق ركبته وغسل الماء ساقيها وبلبل ذيل الفستان، وعندما إلتقت نساء العائلة في احدى الامسيات وحدثتهن عما فعلت ليصبح ذلك دليلا على عدم مراعاتها لشروط الحياة³. ومن تصرفات النساء التي شذت عن عادات وتقاليد القبيلة هو العار الذي ألحقته فلحة بالعشيرة عندما هربت مع حبيبها.⁴

ونوال ابنة نجمة تشتغل معلمة في القدس ولا تريد العودة للقرية فقد كانت قانعة بحياتها في خدمة حنا وعفيفة وكانت على قناعة بأن تصرفها كان صحيحا حين غادرت رأس النبع وسكنت في المدينة الا ان العائلة كان لها رأي اخر خصوصا عندما خلعت نجمة ثوبها الطويل ولبست الفستان وكان بعض فتيان العائلة يقولون عنها الملعونة بنت الحرام.⁵

² . مديح لسناء العائلة ص 26

³ . نفس المصدر السابق ص 9

⁴ . هناك ص 20

⁵ . هناك ص 39

كذلك نوال إبنة نجمة التي كانت تنفر من نساء العشيرة وكن ينفرن منها ويتهمنها بالتعالي عليهن. وحين يجمعهن مجلس في الصباح او في المساء يجدن في استغابتها مادة دسمة للحديث. يشرحنها من شعر رأسها حتى اخمس قدميها ويتهمنها في علاقات مشينة.⁶

كانت نساء العائلة تتناول تصرفات رسمية بالغمز واللمز حيناً وباللوم الصريح حيناً آخر، فيقولون لها كيف تتركين اولادك وحدهم وتغيبين عن بيتك الى انصاص الليالي، وكيف توافقين على إنتعال الحذاء ذي الكعب العالي تتمايلين مرة نحو اليمين واخرى نحو الشمال مثل الحمامة التي إنكسر جناحها وتكونين عرضة للسقوط ولإنكشاف اجزاء جسدك كانت تقول يا بنات الحلال لم افعل اي شيء غلط، فتبتدع حججاً كثيرة من دون طائل وكانت الغيرة هي التي تدفعهن الى التعريض بما والإساءة اليها فكانت النساء تزيد تدخلاتهن في تفاصيل حياة بعضهن البعض.

كما كانت رسمية ترتدي التنورة وبلوزة الجابونيز في ساحة الدار كذلك تخرج لنشر الغسيل على الحبل المنصوب في الساحة فتراها بعض نساء العائلة فتكثر الشائعات حولها يتهمنها بأنها فالتة قليلة تربية تخرج من بيتها شبه عارية لاستدراج الشياطين لكي تتمتع بالنظر لجسدها ولتفعل ما هو اكثر من النظر. وعندما كان كرهن لها يصل الى ذروته كن يمتنعن عن التلفظ بإسمها ويطلقن عليها وصف الفلاحة فلا تكثر بذلك.

⁶. هناك ص 41

3- التمدن والعملة:-

لقد تناولت الرواية قضية التمدن والعملة والتحولات الإجتماعية والمعيشية نتاج ذلك مما يؤدي الى تغيير العادات والتقاليد والقيم للتأقلم من جديد⁸ فحين دخلت الكهرباء في العام 1965 إلى رأس النبع وقعت تحولات ملموسة في حياة العشيرة. فقد دخلت الثلاجات والغسالات والأفران والمكانس الكهربائية واجهزة التلفاز إلى البيت.⁹ فرجال البادية ومنهم " العبد اللات" لم يكونوا يعرفون الملابس الداخلية بشكل عام الا بعد عشرينات القرن العشرين، والسرwal النسوي الطويل فرضه واقع المرأة الفلسطينية في مناطق الاقطاع، عندما كانت النساء والرجال يعملون جماعات بالاجرة في الاقطاعات فقد كانوا يرتدون الثياب الطويلة بل كانوا في مرحلة ما يستهزئون بمن يرتدي السرwal وهناك شواهد في الموروث الشعبي على ذلك وجاء السرwal القصير كتقليد لأهل المدن

⁸.د. عيسى، عبدالله. قراءة في رواية مديح لنساء العائلة، دنيا الوطن ، 2015 ص17

⁹. مديح لنساء العائلة ص 68

- دور المرأة الفلسطينية المهمش:-

لقد تناول شقير دور المرأة الفلسطينية المهمش ووضعها الاجتماعي والاقتصادي، إبنة القرية والمدينة وما بينهما وبؤسها وشقائها، من نزوة ومحنة، تعدد الزوجات وعدم الإنجاب وزواج القاصرات، هجر النساء من أجل كسب العيش في الكويت او البرازيل وغيرها... كما تطرق الى إزدواجية مواقف المرأة تجاه قضايا المرأة في عدوها.

كما ذكر مجلس نساء العائلة المعتاد حيث تجتمع نساء العشيرة ثرثرة ونميمة دائما حول الغائب عن الجلسة¹⁰. وفي الرواية نقد لمكانة النساء المهمشة ومحاوله لمنح المرأة البدوية صوتا من خلال وضحا زوجة منان لكن هنا صوت لامرأة واحدة فقط. بينما بقيت النساء الأخريات مغيبات الصوت تنقل لنا الشخصيات المتحدثة أقوالهن وتصف لنا صورهن ردادات افعالهن في تطابق شبه كامل مع الواقع وتطرق الراوي لظاهرة تعدد الزوجات الذي كرر فعله الابناء كما الآباء. حتى عطوان الذي سافر للبرازيل تزوج من امرأة هناك مع ان له امرأة وطفل في قرية رأس النبع، فالرواية جاءت مديحا للنساء، فالمشترك بين جميع هذه الشخصيات هو التهميش والتقليل من قدرها.¹¹

كما وتغلب ثقافة المرأة التقليدية التي هي جزء اصيل من ثقافة المجتمع وتثبيت لهجة خاصة محملة بثقافة إيمانية إجتماعية هي ثقافة القرية بالتحديد فمن الايمان المطلق بالسحر والجن والحسد الى طريقة العلاج بالبخور والشبة والفتاح والحجاب.

ورغم ذلك نجد ان المرأة حملت عبء العائلة وحافظت على التمسك بالارض وبالتالي الوطن ولهذا إستحقت المديح.

¹⁰. شاهين، محمود. عناق الشكل والمضمون في مديح لنساء العائلة، مجلة مشارق مقدسية عدد 2، 2015، ص 49

¹¹. قراءة في روايتي، فهرس العائلة، مديح لنساء العائلة، عدد 265، 2017، ص 3

4 - قضية الشتات:

يتناول شقير في الرواية قضية الشتات عبر تشتت رجال العائلة في البلدان المختلفة طلبا للرزق لذلك كان الاب منان مهموم عليهم.

فوجد عطوان قد هاجر الى البرازيل برفقة مجموعة من افراد عشيرته تاركا زوجته وحدها لصالح جيزيل بوليفار ورزق منها بولد سيمون بوليفار.

فيصور شقير شخصية محمد الاصغر الذي يعمل موظفا مدونا في المحكمة الشرعية في القدس فيتزوج من سناء المطلقة. حمله والده منان عبء العائلة ليتابع مسارات ابنائها وبناتها ويحمي نساءها من اي سوء. عول عليه في جمع شتات انا محمد بن منان بن العبد اللات الملقب بالاصغر للتمييز بيني وبين " :العائلة بعد ان خاب امله عن بقية اولاده اخوين آخرين اطلق ابي عليهما الاسم نفسه تقديرا لوالده الشيخ محمد الذي كان له شأن واي شأن في البرية. احدهما ، وقد سار كل منهما في طريق مناقض للطريق الذي سار عليه الآخر وكان لأبي موقف "لقبه الكبير والثاني لقبه الصغير متذمر منهما اعلن مرات عدة امام ابناء العائلة انه يضع ثقته في ويعلق آمالا علي بأن اجمع شتات العائلة فالتغييرات كانت اكبر من منان فابنه الاكبر تزوج بامرأة مسيحية وابنه الثاني فليحان راعي تحول الى تاجر ممنوعات ومهرب اغتنى من تجارة الحشيش. فشل في الوصول الى البرلمان يرافقه كرسي متحرك بعد ان اصيب برصاصة خطيب زوجته السابق حسان والذي شعر بأنه يأخذ بثأره فاصبح عاجزا، وابنه الثالث تزوج من امراة مطلقة تكبره بصلاث سنوات وابن اخر استشهد في المعارك ضد الاحتلال واخر تعرض للاعتقال ثم النفي بعد انضمامه الى الحزب الشيوعي، وابن رابع حكم علين بالسجن المؤبد بعد ان قبض عليه لالتحاقه بالعمل الفدائي، واخر اصبح منطرفا اسلاميا جاءت رسالته ومن خلال ما يتراكم لدي من قصص ومن تفاصيل ووقائع عن حالات الطلاق.

فقضية الشتات يتناولها عبر تشتت رجال العائلة في البلدان المختلفة طلبًا للقمة العيش ونرى ان هموم منان زادت، فذهنه مشغول باولاد العائلة الذين صاروا في كل بلد وفي كل مكان.

5- النكبة والاحتلال:

يعود شقير في رواية مديح لنساء العائلة الى زمن الاحتلال البريطاني مروراً بالنكبة التي حلت بفلسطين واحتلالها ثم يصور جوانب من التفسير الديمغرافي التي قامت به السلطات الإسرائيلية مروراً بنكسة حزيران 1967، وحرب أكتوبر واجتياح طالبان عام 1982.

ولم يفصل الكاتب عائلة العبد اللات عن تلك الاحداث فقد استشهد عدد من ابنائها وقضى محمد الكبير سنوات طويلة داخل السجون وتحول الولد الطائش ادهم المنغمس في الشهوات الى تائر يناهض العدو ويصبح اسيراً في سجونته في التشبث الفلسطيني بأرضه ودفاعه عنها مهما إبتعدت به الدروب عن جادة الصواب.

وقد عبرت الرواية عما كان يحدث في البلاد على السنة شهدت عيان يحلون ضيوفا في المضافة يتحدثون عن فظائع قد ارتكبتها العصابات الصهيونية ضد الناس عن مجزرة دير ياسين التي بقرت فيها بطون النساء الحوامل. عن مجزرة الدويمة التي قتل فيها من بين الذين قتلوا مئة وسبعون طفلاً. واغتصبت فيها النساء، وعن تهجيرهم القسري من بيوتهم وكانت تسمع دوي القنابل على القدس فبعد كارثة ثمانية واربعين، تعرض الفلسطينيون للذل والمهانة وتشتت منهم مئات الالاف واصبحوا لاجئين في الخيام، وعندما وقعت هزيمة سبعة وستين وهي لا تقل مرارة عن تلك الكارثة وبعد سنوات مع تغلغل المقاومة في المخيمات وغيرها من الاماكن إستيقظت المخيمات وراحت تتمرد على الاوضاع، وبعد هزيمة سبع وستين اصبحت الحدود مغلقة واصبح المسافرون يدخلون البلاد كأنهم متسللون.¹²

كما ان كل البلاد اصيبت في نكبة وفي صدمة واندهاش، حيث كان اعتقاد بان عبد الناصر سوف يحرر فلسطين. وكان من جراء الهزيمة ان نشطت قوى سياسية عدة في البلاد، كثيرون من ابناء عشيرة العبد اللات انتسبوا الى شتى المنظمات وتوزعوا على فتح والجبهتين والحزب الشيوعي وعلى فصائل اخرى، تكاثرت كالفطر في القرى والمدن والمخيمات.¹³

¹². مديح لنساء العائلة، ص 39

¹³. نفس المصدر السابق ص 112

لم يغفل بعض الاحداث السياسية وان لم يركز عليها لأنها ليست موضوع الرواية كمعاناة اللاجئين بعد النكبة الاولى والانتخابات البرلمانية عام 1956 والتي اوصلت الدكتور يعقوب زيادين ابن مدينة الكرك الاردنية الى الفوز بمقعد في البرلمان عن دائرة القدس وبأعلى الاصوات. وكيف دخلت الاحزاب آنذاك خصوصا بعد النكبة، وهي الحزب الشيوعي حزب البعث العربي وحركة القوميين العرب الى الريف.

ولما عرف اهل العشائر ان فكر عبد الناصر وهزيمة 67 لا تقل فداحة عن كارثة 48، اقتنعوا بان ثمة خلافا في تفكير الامة التي يبدو انها لا تتعلم من تجاربها، ولا تتعظ بما يقع لها حتى لا يتكرر على الصورة نفسها او على ما هو افدح من ذلك.¹⁴

¹⁴. هناك ص 112

3.2 - نماذج وصور المرأة الفلسطينية في الرواية :

لقد عكست الرواية كل نماذج وكل صور المرأة الفلسطينية وقدمتها حسب ما تتمشى في الواقع، كالمراة الام والمرأة الضرة والمرأة المتعلمة والمرأة العاملة في المدينة، واخرى تلك المرأة العاملة في القرية وصورة المرأة العاشقة.¹⁵

ومن اول الصور التي سيطرت على الرواية صورة ونموذج للمرأة العام تمثلت في وضحا فهي ام لمحمد الاصغر وهي زوجة الشيخ منان وهي ضرة لمثيلة وخمسة نساء غيرها.

كنت اعرف كيف احتفظ به في بيتي واعرف كيف "فكانت تسعى دائماً للحفاظ على بيتها وعلى زوجها وأبنائها او فر له الراحة والاطمئنان".

حسرة راسي قديش فكانت توصي ابنها محمد الاصغر بالابتعاد عن السيئين وعن الاشرار امثال فليحان فتقول: "ويا خفت على محمد لما كان عمره خمس سنين زارتنا امرأة عيونها زرق واسنانها فرق". وكذلك فإن الرواية ذكرت بانها قضت وقتا وهي منهمكة في تنظيف المضافة وترتيب الفراش المعد للضيوف.¹⁶

ومن النماذج الاخرى نرى المرأة العاملة القريبة من حياة الحضر وتمثل ذلك في سناء التي كانت تعمل موظفة في البنوك في القدس وكانت جريئة واثقة بنفسها تملي ما بداخلها وتسعى لتنفيذه دون نقاش. فعندما اعطاها القاضي فرصة للإقلاع عن فرصة الطلاق اجابت بأنه لا توجد فرصة لإصلاح ذات البين كما انها اشترطت على محمد الاصغر عدم الدخول في الانجاب لمدة خمس سنوات.

ويعتبر السفر لديها شيئاً أساسياً فهو الذي يخفف الاعباء ويجدد الطاقات من ضغوط العائلة وكانت تعاني معاناة شديدة من ضغوطات العائلة لذلك كانت تقترح على محمد الاصغر بين الفنية والاخرى الطلاق، لكنه كان يرفض ذلك بذلك نجد ان سناء هي نموذج للمرأة التي تبحث عن حريته .لانه كان يعمل كاتباً في المحكمة ويفهم ويعي اثار الطلاق تريد ان تعيش حياتها دون الارتباط بأولاد او زوج.

¹⁵. عبد الهادي، فيحاء. نماذج المرأة البطل في الرواية الفلسطينية، القاهرة. الهيئة المصرية العامة 1997، ص 61

¹⁶. مديح لساء العائلة ص 25-26

كذلك الامر شخصية نوال ابنة نجمة التي تعمل معلمة في مدرسة في المدينة فهي لا تزور رأس النبع لان الناس فيها ما زالوا يحملون عقلية البرية التي جاءوا منها.¹⁷

وليس لهم الا القليل والقال. وكانت تنفر من نساء العشيرة وينفرن منها ويتهمنها بالتعالي عليهن وفي كل مجالس الصباح او المساء يجدن في استغابتها مادة دسمة للحديث، ومقابل ذلك فإن الشيخ منان تحمل تعريض نوال بالعشيرة وبأهل راس النبع لأنه آثر ان يتفاخر بها امام اصحابه من تجار القدس بأن ابنة اخيه متزوجة من طبيب، لكن نوال لم تكترث لما يحدث في رأس النبع وواصلت العيش خارج السور في الجزء الشرقي من القدس كذلك ابويها عبد الودود ونجمة واصلوا العيش في حي المغاربة قرب السور. وقد احبوا الحي للروابط الحميمة التي نشأت بين الجيران ولأن فيه الدليل على إحتضان القدس للتعددية وتجاوز الاجناس.

¹⁷ . نفس المصدر السابق ص41

ومن النماذج الاخرى نجد نموذج المرأة التي تتجه الى التمرد على عادات العشيرة والتصدي له في سبيل اشباع رغباتها وشهواتها ، واتسم ذلك في رسمية التي كانت مخطوبة لابن عمها سرحان وبعد اشهر يكون الزفاف فمجرد ان قال لها فليحان انه يحبها ويجب سراويلها الداخلية الطويلة ثم عرضها على ترك خطيبها ابن عمها قالت بانها لا تحب ابن عمها وتكرهه، لكن فليحان شد عليها بأنه على استعداد الزواج بها وما عليها الا ان تعلن رفضها له. وقد وافقت على ذلك لأنها كانت تقارن بين فليحان وابن عمها سرحان فوجدت ان فليحان اقرب الى قلبها منه. فأعلنت انها تقبل بفليحان زوجا لها ويومها كانا في الجلاء وحدهما فطوقها بذراعيه لكنها ابدت مقاومة واهنة وهو لم يرتدع بل مددها على العشب ونزع سراويلها عن جسدها، بعدها اتفق معها على رفض خطيبها علنا لكنها عندما اعلنت ذلك غضب والدها وغضبت امها وإخوتها عليها وكانت الخطوة الثانية التي قامت بها ان تغادر البيت لتحل دخيلة في بيت الشيخ زعل، زعيم عشيرة المزاعلة فأطاعته وغادرت المخيم خلصة. بقيت اسابيع في بيت الشيخ وقد ارسل ثلاثة من ابناء عشيرته الى اهلها يخبرهم بانها معززة مكرومة في بيته محاطة بالأمن والامان، وبعد فترة انكرها ابوها ثم انصاع الى الامر الواقع لكنه لم يوافق على عودتها الى المخيم. تركها تخطب وتتنزوج وهي بعيدة عن بيت اهلها مع موافقته ان تحضر امها واختها خطبتها وزواجها، وهكذا فسخ ابن عمها الخطوبة وخطبها الشيخ منان لابنه فليحان من الشيخ زعل وتزوجها بعد الخطوبة بأسابيع.¹⁸

كذلك الامر في هذا النموذج نجد فلحة اخت فليحان التي هربت مع حبيبها وجلبت العار للعشيرة. فقد جاءها بائع الحلاوة ليخطبها ويتزوجها على سنة الله وسن رسوله، لكن الاب لم يستجب لطلبه وحاولت امها مثيلة ان تقنع الشيخ منان بانه ما دامت فلحة تقبل ان تكون زوجة له فلماذا يرفضه. كانت الام راغبة في تزويج فلحة من بائع الحلاوة لكنها ذهبت الى الحج وظلت المشكلة بلا حل وجاء الحل من فلحة عندما تنكر الاب لرغبتها في الزواج فهربت مع حبيبها.

19

¹⁸. هناك ص 48

¹⁹. هناك ص 46

لقد عرفت حياة العشائر تعدد الزوجات ولذلك دبت الغيرة بين الضرات، فوضحا ام محمد الاصغر تحذر مثيلة الزوجة الاولى للشيخ منان ام فليحان رغم ان بينهما فارق في العمر وفي الترتيب فمثيلة هي الزوجة الاولى اما وضحا فهي الأخيرة.

فتقول وضحا: " يا حسرة راسي قديش عانيت من مثيلة ومن ابنها فليحان وقديش تعذبت لما رحلنا من البرية هذا العذاب كان يغطي على عذابي من فليحان وامه".²⁰

وكانت الضرات تحتلق وتؤمن بالجن الذي يقيم العلاقات في العشيرة. وان الجن هم اللذين يحملون جسد الرجل للذهاب الى فراش زوجة اخرى ومن الشواهد على ذلك في الرواية ان مهيرة احدى زوجات الشيخ عبد الجبار تستيقظ من نومها فلا تجد عبد الجبار الى جوارها في الفراش. فهي تعرف انه تسلل الى فراش ضرثها خديجة وعندما تكاشفه مهيرة بالأمر يجبرها وهو يقسم اغلظ الايمان بان الجن هم اللذين يحملونه وهو نائم، ويلقون به في فراش خديجة ثم يغادرون البيت من دون ان يقدموا اي تفسير لتصرفهم هذا.

لذلك كانت النساء قانعة بان الجن يسكنون معهم وان المكان الذي بني عليه بيتهم مسكون بأرواح اجداد قدماء قاتلوا وقتلوا وسالت دماؤهم فوق الارض، فتنتلق اشباحهم في الليل باحثة عن فرصة للتأثر او للتذكير بما كان فتسمع النساء صليل السيوف ومحمة الخيول ونداءات استغاثة وآهات وأصوات آنين.

لذلك كانت النساء لا تنام الا بعد ان ترش عتبة الدار بالماء وفي الاثناء تذكر اسم الله وتقرأ التعاويذ وآيات من القرآن لكي تخفف من نزع الجن الساكنين معهم ومن لفحة الاجداد الى ارتشاف الماء الذي يروي ظمأهم ويقلل من الحاحهم على طلب الثأر.²¹

²⁰.هناك ص 59

²¹.هناك ص 67

حتى ان الادوات الكهربائية اعتبرتها ألام انها جنية تعمل فالنساء الكبيرات اللواتي لم يرحن بيوت رأس النبع لا يتابعون برامج التلفاز لاعتقادهم انه مثل المذيع مسكون بالجن اللذين يظهرون على شاشته بشوارب مشدبه وبربطات عنق انيقة والجنيات اللواتي لا يتورعن عن عرض اجزاء من أجسادهن من دون حياء.

ومع الزمن؛ لم تعد حكايتهن فيها جاذبية مثلما كان لها في السابق، فقد استعاضت العائلة عن حكاياتها بمسلسلات التلفاز او بالمسرحيات المنقولة على شاشته او بحفلات الغناء التي يجري بها بشكل مباشر او بعد تسجيلها.²²

كذلك الامر فقد عكست الرواية نموذج المرأة التي تتزوج من شاب يختلف في ديانتها كما كان في مريم المسيحية التي في الأوقات التي لا " تزوجت محمد الاكبر وهو مسلم، فقد عملت مريم في مكتبة لبيع القرطاسية والكتب وقالت يكون فيها زبائن استرسل في تأمل رحلتي في الحياة واعجب كيف استطعت تحويل محمد الى الاقتناع بأفكاري التي ، وقد اكثر من الحديث عن معدن محمد الذي لم يلبث ان تكشف على حقيقته بعد "استلهمتها من اخي إلياس²³ قليل من الجهد والتعب، كان في بداية الامر غير مستعد للحوار ولديه قدر من الشراسة وعدم الاطمئنان ثم عندما انجذب الى مريم راح راح يصغي اليها بكل اهتمام فشعرت بانها انقذت انسانا كان يمكن ان يتوه في خضم الحياة وتلاطم أمواجها. وكانت تتحدث مريم عن ذلك من دون ملل وبدت مسرورة لهذا الانجاز وكانت مسرورة لما تجرعه من عذاب جراء سنوات الاعتقال.

ولقد قبل ايضا ان محمد سافر مع مريم الى اليونان وهناك تزوجا في الكنيسة الارثوذكسية بعيدا عن الطقوس المتبعة بالقدس وقيل انهما ابرما عقد زواجهما في كنيسة البشارة للروم والارثوذكس الكائنة في مدينة الناصرة.

كما ان هذا الزواج لم يغضب العشيرة المسلمة، بل دعوا لهما بالخير والبركة لأنها قبلت به زوجًا لها وهو الذي كان متهتكًا لا يستقر على حال.²⁴

²². هناك ص 69

²³. هناك ص 140

²⁴. هناك ص 45

كذلك الامر مع عطوان الذي تزوج امرأة برازيلية تدين بالديانة المسيحية فهو متفتح الذهن ولا مشكلة لديه ان تزوج بمسيحية فله تجربة سابقة في زواج محمد الكبير بمريم فالأب قد بارك هذا الزواج ولم يجد فيه غرابة.²⁵

عكست الرواية نموذج المرأة التي تحب السهر، فرسمية كانت تعود الى رأس النبع بعد ساعة متأخرة من الليل بعد قضاء سهرة مع فليحان فتنسل بخفة من داخل السيارة الى البيت لئلا يراها احد رجال العائلة او إحدى نساءها ولم تكن تنجح في التخفي دوما، وفي اليوم التالي تتناولها نساء العائلة بالغمز واللمز حيناً وباللوم الصريح حيناً آخر كيف تترك أولادها وحدهم وتغيب عن البيت الى منتصف الليل وكيف لها ان تنتعل الحذاء ذي الكعب العالي وتمايل مرة نحو اليمين ومرة اخرى نحو الشمال وكانت تبتدع رسمية حججا لكنها من غير طائل لان الغيرة هي التي تدفع النساء للثرثرة عليها.

²⁵. هناك ص 73

لقد امتدح الكاتب صبر النساء وتحملهن الحياة بصعوبتها ولكنه لم يصورهن ملائكة تعيش، فأشار الى التخلف الذي تعاني منه بعض المجتمعات وبعض النساء وعلى قدرتهن على التأقلم مع مظاهر الحضارة وعدم استجابتهن للتغيير في انماط الحياة المختلفة.²⁶

كذلك أشار الى اقتحام الخصوصية عند الكثير من النساء وعادة القيل والقال رغم ان هنالك الكثير من النساء التي حاولت التمرد على تقاليد المجتمع وحملت عصا التغيير، وكانت عنوانا لتلك الفترة التي بدأ فيها الانفلات من العادات المقيدة لحرية الشخص فنجمة تلعب ثوبها وترتدي الفستان بعد مغادرتها لبلدتها، ورسمية ترافق زوجها فليحان الى حفلات الطرب والغناء، وسناء تغادر بيتها لتعمل ثم ترتدي ملابس البحر الفاضحة ويتزوج محمد الأكبر من مريم التي تخالفه في الدين، اما محمد الاصغر وهو الشخصية الرئيسية في الرواية فيتزوج امرأة تكبره سنا ويرفض الزواج من أخرى رغم أنها لا تنجب ثم يستقيل من وظيفته في المحكمة الشرعية ليعمل لدى فرقة مسرحية.

كذلك بزرت قضية تفضيل الذكور على الاناث وظهر ذلك من موقف عائلة منان مختار عائلة العبد اللات الذي تزوج سنا من النساء من فرار ابنته فلحة وزواجها ضد رغبة العائلة حيث اعتبرت جالبة للعار للعشيرة والموقف المختلف من أخيها فليحان الذي حاول إغتصاب فتاة ترعى الأغنام، ثم عاشر فتاة أخرى وخطفها من خطيبها وتزوجها رغمًا عن أهلها ثم اشتغل بتهريب الحشيش وبني ثروة من ذلك ولم تجلب تصرفاته تلك العار للعشيرة.

*وقد يكون اسم الرواية الشاعر "مديح لنساء العائلة" خادع هو الآخر لمن ظنوا ان الرواية نسوية بل هي رواية ذكورية بامتياز. وهذا هو واقع الحياة البدوية بشكل خاص.

²⁶. نماذج المرأة البطل في الرواية الفلسطينية ص 67-68

*تكشف عيوب النساء وإستجابتهن البطيئة للتغيير، ففليحان الح كثيرا على زوجته لاستبدال السروال القديم بسروال

آخر قصير وعصري ولكن هذا يشير في عمقه الى الظلم الذي لحق بالنساء تاريخيا وما ترك من مخلفات وعوائق

نفسية. 27

*فلم تسكت نساء فلم تسكت نساء عشيرة "العبد اللات" على سلوك رسمية التي ارتدت السروال الداخلي القصير ورافقت زوجها الى سهرة، مثلما لم يسكتن عن نجمة التي خلعت الثوب الطويل وارتدت الفستان بعد مغادرتها رأس النبع وإقامتها في المدينة، سناء ايضا الموظفة في البنك لقيت نصيبها من مر الكلام بعد ان نزلت مياه البحر ولوحت الشمس ببياض ساقها. كل ذلك ووضحا سادس زوجات منان، كبير العشيرة. لا تزال تتوجس من الغسالة والتلفزيون المسكونين بالعفاريت هؤلاء هن نساء العبد اللات من خلاهن يجري التكتم على مرضه او مرضها، وإن ماتت نعجة من نجاج

القطيع يجري دفنها بالخفية تحت جناح الليل خوفا من شماتة الشامتين والشامتات. 28

كان لدى نساء العشيرة معتقد بأن كل تطور هو مسكون بالجن فكانت النساء تكثر من حرق البخور في الدور ومن رش الماء عند عتبة الدار وتغطية المرايا بالقماش الخفيف وتلاوة التعاويذ وصارت تحرص على إقتطاع أجزاء صغيرة من أثواب النساء اللواتي لا يرقنها من دون علمهن لحرقتها في الوقت المناسب لحماية لأولادها ولبناتها من حسدهن ولحفظ العائلة من شرورهن.

27. العيلة، زكي. المرأة في الرواية الفلسطينية، رام الله 2003

28. مديح لنساء العائلة، ص 36

الفصل الرابع:

4.1- تقنية السرد الفني:

تمثل هذه التقنية نوعية او شكل الطرح الذي سيتم تقديم الاحداث من خلاله او بمعنى آخر هو عرض تقديمي يقوم بالإبلاغ عن القصة واهداثها.

ويختلف هذا الصوت حسب كل قصة وحسب إختيار الكاتب نفسه، فيكون هناك عدة انواع من الرواة منهم الراوي بضمير المتكلم الذي يبدو وكأنه الكاتب نفسه الراوي المجهول، والذي يعرف كل شيء ويكون بضمير الغائب وفيه يكون الراوي مشاهداً للأحداث.

فقد إعتد محمد شقير في الرواية على ان تقدم كل شخصية حياتها وسيرتها بلغتها "مديح لنساء العائلة" اما في رواية مباشرة وتتداخل الشخصيات وهي تروي بأسلوب التقطيع السينمائي.¹

فمثلا في بداية الرواية نجد محمد الأصغر هو الراوي كما انه يقدم نفسه فيقول: "انا محمد بن منان العبد اللات الملقب ب "الأصغر" للتمييز بيني وبين اخوين اخرين اطلق ابي عليهما الاسم نفسه تقديرا لوالده الشيخ محمد الذي كان له شأن في البرية"....

عندما اخبرته بانني ساتزوج بامرأة مطلقة تكبرني بثلاث سنوات نظر الي وقال: "انت اكيد بتمزح"...

ثم يأتي الفصل الذي يليه وتنتقل تقنية السرد الى شخصية اخرى تبدأ سردها بتقديم نفسها والتعريف عنها، فيقول الكاتب: "انا فليحان بن منان العبد اللات سماني ابي بهذا الاسم تخليدا لذكرى عمي فليحان الذي قتل في واحدة من حروب السلطنة العثمانية، كان اخي محمد الأصغر يعتقد اني العقبة التي تقف امام مهمته التي كلفه ابي بها"....²

¹. السرخسي، سامي. الفن القصصي عند محمود شقير، فلسطين، جامعة القدس، 2007، ص53

². مديح لنساء العائلة ص18-ص14

ثم يأتي مقطع آخر وفصل جديد تقدمه شخصية جديدة وهي: "انا وضحا بنت عبد الهادي زوجة منان محمد العبد اللات يا حسرة راسي قديش تعبت وشفت ويلات واول ما ارجوه واتمناه ان يكون ابني محمد الاصغر عند حسن ظن ابيه منان ليصبح كبير العائلة. ومن يوم ما ان رحلنا من البرية وانا اقول لمنان: هذا ابنك فليحان ما له امان".

ثم ينتقل لفصل اخر او مقطع اخر من الرواية في بدايته كالمعتاد يكشف السادس عن نفسه فيقول "انا محمد الاصغر امي وضحا وابي منان لم اعش في البرية ولم اولد فيها ولدتني امي في بيتنا الذي بناه ابي في رأس النبع".³

وهذه التقنية التي استعملها ووظفها الكاتب وهي التي تمثل العدسة الشخصية للسارد نفسه والتي تظهر العلاقة القائمة بين الكاتب والعالم المبني داخل السرد، وهي التي تحدد غاية السرد لتبين وتظهر لنا موقف الراوي او الشخصية من حدث ما او موضوع ما. مشاعره الوجدانية وعواطفه وطريقه لتنوع قراءة النص وايصاله للقارئ وبالإضافة الى تلك التقنيات.

الحبكة:

وهي إحدى اهم التقنيات العامة اذ تشمل احداث القصة المتسلسلة والمتتابعة بالإضافة الى الربط بين مختلف تلك الاحداث لإحداث آثار فنية او عاطفية في نفوس المتلقين، وهي التصور العام الذي يقوم الكاتب من خلاله بتقديم احداث القصة والرواية وتختلف الحبكة بين كاتب وآخر وبين قصة واخرى حسب تناوله للأحداث وزمنها، وفي رواية (مديح لنساء العائلة) فإن احداث الرواية تروى من خلال مشاعر وموقف كل شخصية على حدة فهي تسرد الأحداث المتعلقة بما لتصف مشاعرها ووجدانها فالسرد يظهر متقطعاً كما ان القصص تعود على نفسها والحدث يعاد تناوله من موقف آخر.⁴

³. نفس المصدر السابق ص 25-27

⁴. الفن القصصي عند محمود شقير ، ص 17-21

فمثلا عندما تحدث محمد الأصغر عن تعطيل والغاء رحلة سفرة الى المدينة ويقصد بها بيروت فاننا نجد ان اخاه فليحان اثناء استلامه لوظيفة الراوي يسترجع هذا الخبر ويتحدث عنه،

فيقول محمد الأصغر: "كان علي ان الغي الرحلة، تدمرت سناء ثم لاذت بالصمت كعادتها كلما دهمها امر مفاجيء. تحمست سناء للسفر ولزيارة المدينة التي تمتاز بأجوائها الحرة وبيحرها وكنت زرتها مرة واحدة قبل زواجنا واخرى بعد الزواج حين امضينا فيها عشرة ايام فبقيت معجبا بها راغبا في زيارتها عددا من المرات وكنت انوي ان نحتفل بعيد زواجنا العشرين هناك.⁵

وفي موضوع اخر عندما تنتقل وظيفة السرد الى شخصية اخرى الى فليحان فإنه يتناول موضوع سفر محمد الأصغر ليعلق عليه ويقول: "اخبرني بانه الغى الرحلة الى بيروت. قلت له توقعت هذا منذ الصباح والراديو لا يفارق اذني، اتابع اخبار الحرب على لبنان. الحرب التي أحبطت رحلة اخي محمد الأصغر وزوجته سناء".⁶

⁵. مديح لنساء العائلة ص 8

⁶. نفس المصدر السابق ص 16

الوصف:

وهو من اهم تقنيات السرد الروائي اذ يقوم الكاتب باستخدامها عندما يريد ايصال صورة شخص ما او مكان او حدث او شيء كمدينة او مبنى، فيخاطب الكاتب في تقنية الوصف حواس القارئ المختلفة من ذوق وشم وسمع ولمس. لذلك فالوصف هو تصوير الاشياء المراد التعبير عنها بأسلوب فني او بأساليب مختلفة لتقريب حالة وشكل الموصوف بالنسبة للقارئ وتقييمه. وفي الوصف يمكن تقديم صورة دقيقة للمتلقي بطريقة أسهل من إعطاء معلومات عادية. ووظائف الوصف اما اخبارية لنقل معلومات واخبار جديدة، او تشخيص حالة بوصفها من جميع جوانبها او سردية لإعطاء الاحداث بالتدرج مع الوصف الدقيق لوضع القارئ في حالة من التخيل او التعبير عن حالة بكلمة وصفية توصل المقصود بشكل اسرع، من بين النماذج على الوصف التفصيلي نلمح ما جاء في وصف فليحان لعلاقته مع رسمية فيقول: "تقف رسمية بالقرب مني بعد انتهائها من كنس الساحة بمكنسة من قش ورش الساحة بالقليل من الماء لتسكين الغبار ولتلطيف حرارة المكان في هذا الطقس الصيفي الحار تتكئ بذراعها على كتفي، كم احب وقفنهما الحميمة هذه تستمع لما يبثه المذياع من عمليات القصف الجوي لمواقع عدة في جنوب لبنان، تبدو قلقة وهي ترفع اذبال ثوبها من يمين ومن شمال وتشبكها تحت تكة سروالها الداخلي. يبرز من تحت الثوب بياض الساقين، غير انها لا تمكث طويلا بالقرب مني، ما يجعلني دائم التشبث واللهفة على حضورها فهي كثيرة الحركة تنتقل من موقع الى اخر مثل فراشة تغيب قليلا في الداخل ثم تعود وهي تحمل قهوة الصباح لي ولها وفي عينيها حزن دفين.⁷

⁷. هناك، ص 17

1- الاسترجاع الفني:-

الاسترجاع الفني هو الخطف خلفا كما يطلق عليه ايضا، وهو عبارة عن انقطاع التسلسل الزمني او المكاني في الرواية او في القصة والمسرحية من أجل استحضار مشهد سابق او عدة مشاهد حيث تسلط الضوء على موقف معين وتقوم بالتعليق عليه، وكانت مقتصرة على فن السينما فيما كان يعرف بالفلاش باك. لكن الكراب نجحوا في توظيفها في المسرح والرواية والقصة والسعر ايضا وخصوصا في الاعمال البوليسية التي تبدأ من آخر أحداث القصة ثم يبدأ استرجاع الاحداث وتحليلها.

ومن الشواهد على الاسترجاع الفني عندما يتحدث فليحان عن الشلل الذي اصاب ساقيه ثم يتقدم بالاحداث من الحاضر الى الماضي. فيقول: " غير اني الان لا اقدر على النهوض من فوق الكرسي المتحرك والسبب هو سرحان ابن عم رسمية الذي حاول قتلي بعد سنوات مما جرى"، سرحان صمت الى ان جاءت اللحظة المناسبة ولما التحق بالمقاومة تذكر الجرح الذي الحقته به، فأطلق علي النار لكنه لم يقتلني تعطلت ساقاي بعد الرصاصة التي استقرت في حوضي وتعطل لدي ما هو اهم من الساقين. ثم ينتقل الى سرد حياته في الماضي. فيقول عندما تكرر تجوالي المريب بين المضارب، وبعد تورطي في فضيحة اخرى خطب لي ابي بنتا من بنات العشيرة تمنيت لو كان اسمها عليا، المرأة الجميلة التي اغرم بها ابو زيد الهلالي، ولما عزم على الزواج بها رفضت قبيلته تلبية رغبته، بسبب منعها رجالها من الزواج بغير الهاليات. كان اسم خطيبي شيخة احببت اسمها الذي لا يقل سموا عن اسم عليا، لها جسد متين، لم تكن باهرة الجمال الا اني احببتها وعندما إرتحلنا من البرية الى مشارف القدس إحتملت شيخة كل نزواتي. ولاحظت منذ ايامها الاولى معي كيف اني اسعى لتحصيل المال، وقد صدمت عندما شغفت برسمية ولم تتخل عني رغم اساءتي اليها، دخلت رسمية حيز اهتمامي لما كانت تأتي الى سفح الجبل كنت ادرك انها انتزعت من بيتها ومن المكان الذي ولدت فيه وعاشت في رحابه حتى اصبحت صببية بالغة. وانتزعت من المدرسة التي كانت تتلقى الدروس فيها ثم اضطرت الى ترك البيت والمدرسة والى ترك القرية وما فيها من شجر وماء وما يحيط بها من حقول وسهول وجبال لتأتي الى هنا مرغمة على العيش في مخيم تتجاوز خيامه على نحو مربك.⁸

⁸.هناك ص 18-21.

الفصل الرابع:

4.2 الزمكانية:

السرد هو ترجمة الأفعال والسلوكيات الإنسانية والأماكن إلى معانٍ أي تحويل المعلومة إلى كلام مع ترتيب الأحداث وفيه يظهر كل ما هو مراد.

ويتميز السرد باعتماده على دلالات مكانية وزمانية لأن ربط السرد بالزمن يجعله أكثر تشويقاً ويرتب جميع الأحداث التي تتضمنها القصة.

كما تقع الأحداث في السرد الروائي بشكل متدرج متسلسل ومرتببة ترتيباً منطقياً وذلك من خلال مراحل ثلاث أساسية هي:

الأحداث المبدئية، الأحداث الطارئة والأحداث الختامية. كما يحتوي السرد على كثير من الروابط المحددة والتي تعمل على ربط الأحداث المتغيرة والمتحولة بعضها ببعض وفق الطريقة التي يراها الكاتب مناسبة. كما أن الأفعال في السرد تدرج بشكل يتناسب مع الزمن والتوقيت المناسبين فهو عن طريق الفعل الماضي يعبر عن الأحداث المنتهية سابقاً. وفي النص السردى تكون وحدة الحدث والموضوع ويشتمل على مغزى واضح أو محففي ويكون له هدف محدد.

أما تقنيات السرد الروائي فهو يتألف بصورة عامة من ركيزتين أساسيتين، الركيزة الأولى هي القصة التي يتضمنها هذا الكلام والتي يحاول إيصالها إلى الآخرين.

والركيزة الثانية هي الطريقة التي يتوجب على المتكلم أن يؤديها من أجل إيصال القصة وهذه الطريقة هي التي تسمى السرد.

ويعتمد السرد على مجموعة من التقنيات التي يرسم الكاتب من خلالها القصة ويشكلها لا يصال الصورة إلى أذهان الجمهور حيث تمثل الأعمدة التي تتولى رفع سقف الرواية حتى تصل إلى الجمهور مكتملة التكوين .

3- زمن السرد:

نعني بزمن السرد هو اختيار زمن محدد للسرد ووضع الاحداث ضمن سياق او إطار زمني معين للقصة، من أهم تقنيات السرد الروائي وذلك في مختلف الأزمان التي قد تقع فيها أحداث الرواية الأدبية او القصة من ماضٍ او حاضر او مستقبل. اي زمن الأحداث والوقائع مرتبة ومنتالية كما ان زمن المبنى الحكائي يختلف عن زمن المتن الحكائي والاحداث لا يرتبها الكاتب وفق نسقها الزمني في المتن الحكائي. اي كما هي مرتبة بالوقائع إنما يقوم بخلق زمنه الخاص ليعبر عن رؤيته للحكاية التي يرويها وخلال الزمن هنالك تقنية الاسترجاع التي تعمل على تكسير خطية الزمن واستعادة الماضي البعيد لتوهم ان القصص يتجه الى الوراء. كما يستخدم الراوي ايضا التوثيق التاريخي من خلال إشارته الى تواريخ أحداث حصلت في الماضي للايهام بحقيقة ما يروي.

وبهذا فإن زمن الرواية يمتد من أواخر أربعينات القرن العشرين وحتى الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982. وخروج منظمة التحرير من بيروت كما تطرق الى نكبة الشعب الفلسطيني عام 1948 وهزيمة حرب حزيران عام 1967، وقد كان مروره عليهما عابرا لما يخدم موضوع الرواية الذي يدور فحواه حول عشيرة العبد اللات التي تسكن جوار مدينة القدس. وأرغب في تذكر أيام عرسنا الاولى التي قضيناها فيها انا " :ومن الشواهد على الزمن الذي سادت فيه احداث الرواية وسناء، تحمسنا للسفر إليها رغم الرصاص الذي اندلع فيها منذ سبع سنوات يشتد حيناً ويخف حيناً آخر. نمنا ليلتنا على أمل الذهاب صباحاً عبر الجسر الى عمان ومن هناك ركوب الطائرة الى بيروت لكننا لم نسافر بسبب الغارات الجوية والاجتياح الذي غمر الجنوب اللبناني وراح يتقدم نحو بيروت مثل طوفان".

وفي موضوع اخر يذكر فيه الزمان بقوله: "عملت في المحكمة الشرعية في القدس، توظفت فيها عام 1958 وظيفتي في المحكمة لم تكن على قدر كبير من الأهمية".⁹

⁹. هناك ص 1-9.

وفي موضوع آخر يقول: "عرفتها بعد كارثة 1948 بأشهر، كنت أرى الأغنام في ارضا التي إشتراها ابي شمال

القدس".¹⁰

ومن الشواهد الأخرى في قوله: "أسمع عن الفظائع التي ارتكبتها العصابات الصهيونية ضد الناس عن مجزة دير ياسين

التي بقرت فيها بطون النساء الحوامل، عن مجزة الدوامة التي قتل فيها من بين اللذين قتلوا مئة وسبعون طفلا.

واغتصبت فيها النساء، من تهجيرهم القسري من بيوتهم وأسمع دوي القنابل على القدس فأخاف".

¹⁰. هناك ص 21 .

المكان:

المكان هو وعاء الاحداث والشخص، والمكان يعبر عن روح وطبيعة المجتمع والعلاقات الإجتماعية الكائنة وهو المشكل لبناء الرواية وتركيبها العام، والمكان في السرد لا يخضع للتحديدات الفيزيائية الصارمة، ففضاء الرواية منتهٍ وغير مستمر ولا متجانس وهو يعيش في محدودية كما انه مليء بالحواجز والثغرات وخاص بالألوان والروائح. وللمكان مظهران، المظهر الجغرافي المباشر الذي يرصد المكان بشكل تقليد واضح، حيث يمكن تمثيل المكان بواسطة كثير من الادوات اللغوية ذات الدلالة الغير تقليدية مثل: مسافر، خرج، تزوج، وصل...

وقد عكست احداث رواية "مديح لنساء العائلة" جوار مدينة القدس، ومدينة القدس ركيزة أولى فمعظم الاحداث والحكايات والقصص وقت في حدود هذا الزمن.

ومن الشواهد الأخرى على ذلك: "كنت ارعى الاغنام في أرضا التي اشتراها ابي شمالي القدس لتكون مرعى لأغنامنا وفي زمن لاحق بنينا عليها بيوتاً اقامت انا ورسمية في احدها وأقام في البيوت الأخرى اخوة لي وابناء لنا وبنات".¹¹ وفي موضوع اخر في احد احياء القدس يقول محمود شقير واصفاً الشخصية كانت نجمة زوجة عمر عبد الودود تعمل في بيت موظف في أحد البنوك يقع البيت في حي الطالبية، وكانت زوجة عمي تخرج من بيتها في حي المغاربة في القدس القديمة كل صباح فاصدة حي الطالبية لتنظيف بيت الموظف".

"ذات مرة سنة 1953 دعوات الجنرال جلوب باشا الملقب (ابو حنيك) لتناول طعام الغداء في بيتي في رأس النبع"...

12

والمكان الثالث الذي ظهر في الرواية هو البرازيل وعلى التحديد مدينة "ريو دي جانيرو" التي سافر اليها عطوان لطلب الرزق.

¹¹. هناك ص 21

¹². هناك ص 55

فيقول عطوان: "وصلت يا والدي الى البرازيل بتاريخ 12.9 هبطت بنا الطائرة في مطار ريو دي جانيرو في الليل، وكان بصحبي ابناء العشيرة الثلاثة وكم حزنت لفراقكم وانا اودعكم بمطار قلنديا"¹⁴.

¹⁴.هناك ص 74

الفصل الرابع:

4.3 - المبني والاساليب اللغوية :

تلعب اللغة دورًا بارزًا في تكوين الرواية وتشكيلها مع عناصرها الهامة من الأحداث والشخصيات والزمان والمكان والموضوع والمغزى. ولا يمكن للروائي أو الكاتب أن يقدم أفكاره وإحلامه في صورة محسوسة إلا من خلال اللغة. فاللغة تنطق الشخصيات وتتكشف الأحداث وتوضح البيئة.

إن مستويات اللغة تتغير حسب المخاطب لذلك فإن الراوي يراعي القارئ ومستوى السامع والمخاطب ويجب اختيار لكل شخصية لغتها الوظيفية الخاصة بها حسب مهنتها، ولما بدأت الرواية العربية الحديثة تشق طريقها نحو اللغة العربية بدءًا من مرحلة الترجمة والتمصير والتعريب والتقليد أثرت مسألة اللغة من جميع النواحي فقد نادى البعض بضرورة التمسك باللغة العربية الكلاسيكية في السرد والحوار، وهناك من يجد أن استعمال العامية يأتي لما يتلاءم مع ما يمر به البلد من وضع ولتصوير بيئتهم ومستواهم الفكري الملائم لهم ولوضعياتهم النفسية.

وقد إنتهج الكاتب محمود شقير في روايته مديح لنساء العائلة بتنوع اللغة وكانت لغة الرواية سهلة وانسيابية وهي قابلة لاستيعاب لاستيعاب الحياة، وهي لغة بسيطة ممتعة تتراوح بين الفصحى والعامية كذلك تنوعت اللغة بين الشخصيات المختلفة، فعندما يتكلم محمد الأصغر الشخص المثقف تكون لغته عالية ولكن عندما ينتقل السرد إلى فليحان راعي الاغنام الذي لم ينل قسطًا كبيرًا من التعليم تتغير اللغة وتصبح أكثر بساطة، وعندما تروي وضحا الأحداث تصبح اللغة بسيطة جدا وسطحية فيشعر القارئ أنه يتقمص تلك الشخصيات. لذلك هو يميل إلى بساطة اللغة والتركيب، فيقول محمد الأصغر الذي إستعمل اللغة الفصحى الواضحة: “كان علي أن ألغي الرحلة تدمرت سناء ثم لاذت بالصمت كعادتها كلما دهمها أمر مفاجئ وراحت تشغل نفسها بتفقد ملابسها التي رتبها في حقيبة السفر، تخرجها ثم تعيدها

الى الخزانة تتأمل بمزيج من الأسى والإحساس بالحسرة ملابس السباحة التي اشتريتها لها قبل أيام

فهنا اللغة واضحة بينة. 15

اما عندما يكون السرد على لسان وضحا فهي تستعمل اللغة العامية واللغة البسيطة فتكون كلماتها واضحة بسيطة

سلسلة فتقولانا وضحا بنت عبد الهادي، " يا حسرة راسي قديش تعبت وشوفت ويلات، وأول ما أرجوه وأتمناه أن

يكون إبني محمد عند حسن ظن أبيه".¹⁶

كذلك رسائل عطوان من البرازيل أضفت على الرواية بعد آخر زادها جمالاً ورونقاً، كتب اخي **عطوان**:

سلام سليم أرق من النسيم يغدو ويروح من قلب مجروح الى حبيب الروح والدي منان راجيا من الله الغفور الرحيم ان

تصلكم رسالتي هذه وأنتم في أحسن حال، وفي صحة جيدة وراحة بال وان سألتكم عني فأنا بخير من الله وصحتي عال

العال. ولا ينقصني سوى مشاهدتكم والسمر معكم والاطمئنان عليكم... مني ألف حمل سلام والى زوجتي فهيمه وابني

"منان ألف حمل سلام والى كل من يسأل عني في طرفكم الف حمل سلام والى اللقاء في رسالة قادمة والسلام ختام".

إضافة الى ذلك نجد ان محمود شقير في رواية (مديح لنساء العائلة)، قد وظف الاغنية فيقول ذهبت الى سهرة العرس،

مكثت بضع دقائق أتفرج على الرجال المصطفين في السامر، ثم انسلت الى حيث النساء يرقصن ويغنين:

"ومن هان لصفد حبل الغوى ممدود، من هان لصفد

وأمر الله نفذ، اعطوا الرينة للزين، أمر الله نفذ"

وفي موضع آخر يقول غنت النساء ورقصن وأنا اراقبهن ويبدو ان امرأة منهن استبدت بها الطيش فلم تحتمل التكتم على

ما في نفسها فغنت يا قاطف الرمان، رماي انا ماله

اطلع من بين البيوت، وخلّ رماي بحاله".¹⁷

¹⁵. هناك ص 8

¹⁶. هناك ص 25

¹⁷. هناك ص 19

الخلاصة:

على رواية مديح لنساء تم بحمد الله وعونه كتابة هذا البحث الذي يتناول صورة المرأة في الرواية الفلسطينية بالإعتماد العائلة للكاتب محمود شقير.

وقد أظهرت الرواية مسيرة عائلة عبد اللات عبر ما مرت به فلسطين من حروب ومواجهات بدءاً من النكبة ثم حرب الايام الستة حتى وصولاً لحرب لبنان، ومن خلال كتابة هذه الرواية أضاء جزء من التجربة الفلسطينية من خلال إستعراضه لحياة البدو واشباكهم مع الحداثة والغزاة في آن واحد.

فهذه العائلة التي ابرزها وظهرت ممتدة من الطبيعي ان تتعرض لمظاهر التفكك التي طرأت عليها بسبب التطور الاجتماعي ومستجدات الحياة. وهذا التفكك لم يظهره الكاتب كأنه نقيضه بل هو يضيف الى ظهور الأسرة النووية التي تستجيب لمقتضيات الحياة الحديثة.

وضمن هذا السياق كانت المحافظة على ذاكرة المكان باعتبار الهيمنة على المكان تشكل جوهر الصراع مع الغزو والاحتلال من خلال ذلك فقد تعرضت الهوية الفلسطينية لمحاولات التبديد والتذويب الا ان تمسك الفلسطينية بأرضهم وانتمائهم لوطنهم أسهم في إبقاء الهوية فوق كل المحاولات، بل إزدادت غنى بالنظر الى انفتاحها على ثقافات الشعوب من دون تعصب او إنغلاق.

ومن هنا اصبح توثيق الحياة اليومية للفلسطينيين لازماً وضرورياً لأن الركون الى الحقائق المجردة وحده لا يكفي في ظل هذا الصراع حيث تصبح حركة الناس في المكان جزءاً من المكان وتعبيراً عن جوهره وعن هويته.

وما يستحق ويحدر ذكره الى ان نفوذ العائلة الممتدة ما زال حضوره في حياة الفلسطينيين بسبب الأوضاع الاستثنائية التي يجيئون في ظلها رغم ان هذا النفوذ يلعب دوراً سلبياً في بعض الاحيان خاصة تجاه الحد من حرية المرأة والأبناء والشباب، كما تعرض الكاتب الى الكثير من المشكلات الاجتماعية في تلك الحقبة الزمنية عن طريق أحداث الرواية وشخصياتها كتعدد الزوجات وعدم العدل بينهن فكان يهجر إحداهن لصالح الأخرى كما ان الرواية أبقت النساء مغيبات الصوت فقط، نقل الكاتب أفعالهن ووصف صورهن وهذا يبين قلة قدرها وانها مهمشة في المجتمع فمع تعدد

وكترة صور النساء في الرواية الا ان معاناتهن ومصيرهن واحد، وان اختلفت الأماكن التي وصلت اليها او مثلتها فتبقى

المرأة قانعة خاضعة تتحكم بها الظروف.

قائمة المصادر:

1. ابو مطر، أحمد. الرواية في الأدب الفلسطيني، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980
2. مجلة شؤون فلسطينية، عدد 265، 2017 "قراءة في روايتي فرس العائلة، مديح لنساء العائلة". حميدة، طارق
3. دسيس، عبد الله. قراءة في رواية مديح لنساء العائلة، دنيا الوطن، 2015
4. السرفسي، سامي. الفن القصصي عند محمود شقير، فلسطين، جامعة القدس، 2007
5. السلحوت، جميل محمد شقير أديب مدينة السلام، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، إعداد وتحرير ياسين كتاني، باقة الغربية، 2013
6. شاهين، محمود، عناق الشكل والمضمون في مديح لنساء العائلة، مجلة مشارق مقدسية عدد 2، 2015
7. شقير، محمود. عناق الشكل والمضمون في مديح لنساء العائلة، عمان، المطبعة الأهلية، 2015
8. فاعور، ياسين. القصة القصيرة الفلسطينية ميلادها تطورها 1990-1924، دمشق إتحاد الكتاب العرب، 2001
9. عبد الهادي، فيحاء. نماذج المرأة البطل في الرواية الفلسطينية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة 1997
10. العيلة، زكي. المرأة في الرواية الفلسطينية، رام الله، 2003 .
11. ماضي، شكري. الرواية العربية في فلسطين والاردن في القرن العشرين، عمان، دار الشروق، 2003
12. النساج، سيد حامد. بانوراما الرواية العربية الحديثة، القاهرة، دار المعارف، 1980 .
13. وادي، طه. صورة المرأة في الرواية المعاصرة، القاهرة، دار المعارف، 1994 .